مقالة

السير الحثيث

فى تاريخ تدوين الحديث

التى القيت فى الاحتفال الثانى لدائرة المعارف للعبد الضعيف
خادم العلم والعلماء (الدكتور) محمد زبير الصديقى
(ام، اے، پی، اچ، ڈی، کیمبرج)
(استاذ الاسلاميات بجامعة كلكته)

طبعت

بمطبعة دائرة المعارف العثمانية
بحيدرآباد الدكن
سنة ۱۳۵۸ھ

مقالة

السير الحثيث

في تاريخ تدوين الحديث

التي القيت في الاحتفال الثاني لدائرة المعارف

للعبد الضعيف خادم العلم والعلماء (الدكتور)

محمد زبير الصديقي (ام، اے، پی، اچ، ڈی، کیمبرج)

(استاذ الاسلاميات بجامعة كلكته)

طبعت

بمطبعة دائرة المعارف العثمانية

بحيدرآباد الدكن سنة ١٣٥٨ ھ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقالة علمية القاها العبد الضعيف خادم العلم والعلماء (الدكتور) محمد زبير الصديقى (ام ، اے ، پی، اچ ، ڈی ، کیمبرج) (استاذ الاسلاميات بجامعة كلكته) .

السير الحثيث فى تاريخ تدوين الحديث

الحمد لاهله والصلاة على نبيه وآله وصحبه

اما بعد فدائرة المعارف الاسلامية وسعيها العلمى كل ذلك غرس من اغراس من هو للعلوم حرز حريز وحصن منيع وهى غيض من فيض من يقدر العلوم قدرا ويرفع لها ذكرا اى سلطان العلوم نظام دكن حفظه الله تعالى وهل يخفى مكانها فى العالم اوينكر فضلها احد ، وقد بثت العلوم بثا ، ونشرتها نشرا ومن بعض اعمالها الكريمة انها لتوسيع النطاق العلمى احتفلت حفلة فى يوليو سنة ۱۹۳۸ م ؛ ودعت العلماء المحققين ، فكنت ايضا ممن اكرمه بدعوته الفاضل السيد محمد هاشم الندوى ؛ وامرنى بان القى خطبة علمية فيها ـ وكنت منذسنين اعمل جهدى فى التنقيب عن تاريخ تدوين الحديث ؛ فانتخبت بابا من ابواب تاليفى الذى الفته بالانكليزية ، ولخصتها ، ثم عبرت عنها الى الاردوية ، والقيتها فى تلك الحفلة .

وكانت غاية الرجاء من هذا ، ان يقف العلماء والمحدثون المحققون على ما تيسر لى من التمحيص فى الابواب المهمة من هذا الفن ، ويشرفونى بآرائهم الغائرة الثائرة ، ليتضح ما كان غير واضح ويتجلى ما كان خفيا .

وفى الحفلة لضيق وقتها وكثرة مقالاتها ، لم يسنح لأحد أن يذاكرنى فى موضوع مقالتى اويرشدنى الى مارأى فيها من الاختلال .

فطبعا كنت مولعا بان اسائل الفضلاء عما كان فى صدورهم من شؤن مقالتى خيرا كان او شرا ـ فالحمدلله قد استحسنها كل من اولى العلم واثنى بالم

اكن اعرفني به جديرا ـ وذلك قد شدعزمي وبعث فيّ النشاط التام .

ولنشر المقالة كان يتحتم عليّ ان اعبر عنها الى العربية وكان يوافق مرمى غرضي لان العالم الاسلامي الذي يدرس فيه الحديث لم يكن يتأتى لي ان اعرف رأيهم في شأن مقالتي الا بالتعبير عنها الى العربية .

فمقالتي هذه قد نشرتها دائرة المعارف مع غيرها من مقالات الفضلاء التي قد القيت في الحفلة فاذا وصلت بين يدي اولئك الطلبة والعلماء الذين لهم عناية بهذا الموضوع خصوصا وبالحديث عموما ؛ ويسر الله تعالى لهم الاستفادة منها وانبعث فيهم بهذه المقالة روح تنقيب الاقدمين ، رأيت ذلك لنجاتي الاخروية ذخرا ، فضلا من ان ارى ذلك لي في الدنيا عزا وفخرا .

محمد زبير الصديقي
استاذ الاسلاميات بجامعة كلكته
(احدى ايالات الهند)
٢٥ يوليو سنة ١٩٣٩

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله واصحابه اجمعين .

اما بعد ، فان كل صنف من اصناف الادب مع موضوعه ومسائله وغايته وزد على ذلك ان مبدعه وحامله ايضا ، رهين فى نشوئه وارتقائه بالاحوال المستولية عليه سياسة وتاريخا ولاصطباغه بتلك الصبغة تراه يمتاز مما يضاهيه من الآداب ، ويحوز بعض الخصائص التى لايحوزها مجانسه ومشاكله مما تقدم منه او تأخر عنه .

واذا كان ذلك كذلك فعلم الحديث ايضا لايستثنى من الكلية التى قد قدمناها آنفا،وحيث ان موضوعه اقوال النبي الطاهر الامين وافعاله صلى الله عليه وسلم وغايته الاهتداء بهداه قولا وفعلا ليتذرع بهما المتشبث الى بلوغه ذروة السعادة فى الدنيا والآخرة .

اما حملته الكرام فهم المحدثون وتشبثهم فى زمانهم باحواله السياسية والتاريخية التى نشأ هذا الادب وارتقى فى ظلالها تراه يختص بما يمتازعنه من غيره .

مكانة علم الحديث واهميته

من الواضح البين ان علم الحديث له مزية عظمى واهمية كبرى ؛ ولذلك ترى ادبه قد عظم شأنه وارتفع قدره وتمكن من كل فؤاد بمكان مكين .
ولعلو محله قد نشأت فى تدوينه طائفتان ــ طائفة قد عبدت هواها وخضعت دون مطامعها الدنية ، فصحفت الاحاديث فصرفتها ووضعتها واخترعتها واخربتها ، اولئك السذجة الاغرار الذين لم ينتووا نواها لكن شاركوها فى اعمالها سذاجة وبلها ، والفت تأليفات شحنتها وضعا وهمت بصنعها هذا ان تشوه به وجه السنة الغراء والحنيفية البيضاء .

ولكن الله تعالى جعل لدينه حزبا وكتب لحزبه نصرا ، فقامت طائفة ذبت عن الدين وحمت سنة سيد المرسلين ببواتر التحقيق وسهام التدقيق ،

فهذبت السنة حق التهذيب ، ووطدت دعائمها واحكمت احكامها وسارت فى رواية الحديث سير المتثبت الحصيف احتياطا وعزما ، فمهدت للرواية اصولا قويمة، وللدراية قوانين مستقيمة، وقد اصبحت روح النقد ومحك المنتقد ؛ فمن ذخرها اسماء الرجال الذى لم يسبق له مثال فى اى شرعة ودين من الاولين والآخرين — واخترعت لدرس الحديث وتدريسه وانتساخه قواعد صحيحة ولم تترك من الحديث لفظة الا حققتها وبلغت صحتها ، وان زاد راو من الرواة لفظة فى الحديث سعت فى تنقيبها حتى بلغت مكمنها ، ورفعت القناع عنها ، ثم نسبت الزيادة الى صاحبها، واصول الاسناد التى كانت رائجة قبل الاسلام بلغتها ذروة الكمال ووسعت نطاقها وافردته فنا يشار اليه بالبنان .

زمرة المحدثين وعلاقتها بالدولة

قد كابدت المشاق وتحملت الشدائد قرونا فى تهذيب علم الحديث الفطاحل من العلماء عربا وعجما ذكرانا واناثا واجتمعوا تحت رايته يدا واحدة — فمن السلاطين من جار عليهم وتعدى بجلدهم وسامهم باشد عذاب ، ولكن تلك النفوس الطاهرة التى لم يزل الدهر يخلد ذكرهم وينوه بشأنهم ولا يزال يتلو مآثرهم ما بقى الزمان وتناوب الملوان ، هم رحمهم الله كانوا بمعزل عن الدول وولاتها والسلاطين وحماتها وبجدهم بخلوص طويتهم انفرادا واجتماعا قد تركوا بحور العلوم من ادب الحديث زاخرة وكنوزها طافحة قد اعترفت بفضلها المهرة الحذاق المستشرقون كفضيلة الاستاذ الحائز قصبات السبق فى التحقيق مارغوليته فانه قال « ليفتخر المسلمون بعلم حديثهم ما افتخروا » .

لاسباب قد قدمناها آنفا ولغيرها من الطوارئ قد حدثت فى ادب الحديث مسائل مهمة ،ولكن بعضها الى الآن لم يبرح فى حيز الخفاء فلم تمسها يد البحث والتنقيب ، وبعضها وان كانت معروفة عند اولى البصيرة والخبرة من المحدثين ولكنها مع شهرتها لم تتعرض لها يد التحقيق ولم يقدر اليها رأى بالغ حقيق ،ولذلك جعلت موضوع مقالتى هذه المسائل المهمة راجيا بل معتقدا أن غزارة فضلكم

وسعة

وسعة نطاق علمكم ثم مهارتكم التامة وحذقكم الباهر وشغفكم بالتنقيب والنقد يساعدني في تنقيح تلك المسائل والتنقيب عنها فيبرد به الغليل ويشفى العليل ان شاء الله تعالى ، وها هي اقدمها بين يديكم مرتبة مفصلة.

(١) كتابة الحديث وتدوينه وتعليمه

(٢) وضع الحديث واختراعه

(٣) نقد الحديث وتحقيقه

(٤) درس الحديث والنساء

(٥) الاسناد في علم الحديث وتكميله

١ ـ كتابة الحديث وتدوينه

لم تزل هذه المسئلة معضلة من المعاضل سابقا ولاحقا ـ وتلك ان الحديث هل اخذ في الانتساخ والتدوين في عهد النبي الاكرم صلى الله عليه وسلم ، ام لا ؟ اما المحدثون خاصة وعلماء الاسلام عامة فنراهم على الظاهر شديدي العراك مختلفي الاقوال ـ نعم قد جمع بعض العلماء في رسائلها وكتبها في هذه المسئلة ، اى كتابة الحديث ، آراء متخالفة واحاديث غير متوافقة ـ منهم الامام الاجل الدارمي في مبادى سننه وابن عبدالبر في جامع بيان العلم ، قد افاد بفوائد مهمة من هذا الباب وكذلك الخطيب البغدادي في الرسالة المعروفة برسالة تقييدالعلم قداتى بمعارف مهمة ومنافع جمة من الاحاديث والاخبار وآراء المحدثين الكبار وهـذه الرسالة قد نشرها منذ زمان فضيلة الاستاذ نقادة اوانه ومحقق زمانه الدكتور اسفرنغر مع تعبيرها الى الانكليزية في المجلد الخامس والعشرين من مجلة ايشيائك سيوسايتي من بلدة كلكته ، البنغال ، احدى ايالات الهند .

ولكن المحدثين لم يتعرضوا فيها للكتابة انها في اى عهد كانت بل لم يفيدوا فيها برايهم السديد ولم يأتوا بقول فصل يفيد،فلم تزل مسئلة الكتابة بكرا الى الآن .

نعم اول من امعن النظر في الاحاديث بعين النقد والتمحيص فضيلة الاستاذ

الدكتور اسفرنغر ثم تلاه فضيلة الاستاذ غولدزيهر وكان اشد تعمقا واغزر نقدا، ويدل على غزارة فضله تأليفه المعروف بالمطالعات الاسلامية وهو كتاب غزير الفوائد كثير العوائد قد حظى بعين القبول وله فى محققى اوربا مكان مكين ـ فقد افصحا (اى غولدزيهر واسفرنغر) متفقين ان الحديث اخذ فى الكتابة فى عهده عليه الصلاة والسلام، بل فى رأى فضيلة الاستاذ المحقق غولدزيهر ان الاختلافات التى نرى للمحدثين فى كتابة الحديث لم تنشأ الابعد عهده صلى الله عليه وسلم والاغلب ان عهد بنى امية هو عهد نشأتها .

ان اسفرنغر يقول انه يزعم ان الاحاديث فى القرن الاول لم تزل فى ذاكرة الرجال محفوظة ومحققوا العلماء من اوروبا حسبوا أن لفظة « حدثنا » التى تتقدم كل حديث وتسبق كل رواية لم تصطلح الا فى الرواية شفاها لا كتابة ولذلك زعموا أن الاحاديث المروية فى الصحيح البخارى لم تكن قبله مقيدة فى الكتب بل كانت تروى شفاها .

وهو بين الخطاء فان ابن عمرو رضى الله عنهما وغيره من الصحابة قد كتبوا الاحاديث فى الاسفار؛ وتبعهم فى ذلك حملتها من التابعين الذين عددهم غير قليل»(١)وهذا المحقق المستشرق قد نشر فى مقالته ايضا« ان من بدء الاسلام جعل بعض المحدثين يكتبون من الاحاديث ما يهم لديهم شأنها؛ واذكر من كان منهم فى الصحابة اكرم شأنا واعظم مكانا كعبد الله بن عمرو بن العاص ، وانس بن مالك ، وناهيك بابن عباس ابن عم النبى ، فقد كان من اخص صحابته عليه السلام؛ وهو رضى الله عنه قد كان احفظ الناس لمروياته عليه الصلاة والسلام ، حتى ان مرويات ابن عباس وابن عمرو بن العاص المكتوبة فى الاسفار قد كانت بايدى عشيرتهما موجودة » (٢) .

وقد قال فضيلة الاستاذ غولدزيهر ان اختيار لفظ المتن لعبارة الحديث

(١) لايف آف محمد ـ اله آبادص ٦٦-٦٧ (٢) جرنل ايشياتك سوسايٹى بنگال الهند ج ٢٥ ص ٣٨ .

ازاء لفظ الاسناد لسلسلة رواته ادل دليل يقضى على خطاء من زعم ان طبق آراء المسلمين كتابة الحديث فى بادئ البدء كان ممنوعا، وانه لم تحفظ الاحاديث فى العهد الاول من الاسلام الا فى اسفار الصدور؛ ولكن لامحيد عن الاذعان بان كتاب الحديث كان لهم طريق مألوف ونهج قديم لحفظه، والاضراب عن ذلك هو ثمرة خيالات نشأت بعد - والاحاديث التى يقال فيها انها كتبت فى القرن الاول من الهجرة جديرة بان تعدلادب الحديث اثمن ذخر واقدم جزء - وما عائق يعوق ولا مانع يمنع عن ان يذعن مذعن ان اصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) وطلبة الحديث حرصوا على ان يكتبوا اقواله واحكامه خوفا من ان يطرأ عليه الذهول والنسيان بعد مرور الزمان فتمحو آثاره وتطمس اخباره - وكيف يمكن ان قوما جمعوا العوام الناس اقوالهم الحكمية ضنابها وحفظا لها ويدعون اقوال نبيهم اعتمادا على ذاكرتهم وحفظهم فاذن الامر الصحيح والرأى النجيح ان كثيرا من الصحابة رضى الله عنهم كانوا يصحبون معهم صحفهم ويلقون منها على تلامذتهم - وعبارات هذه الصحف هى التى يعبر عنها بمتن الحديث»(١) .

والصحف التى اشار اليها فضيلة الاستاذ المحقق غولد زيهر فى العبارات المتقدمة فاكثرها قد ذكرها هذا الفاضل الالمانى فى محل آخر، وما عداها من الصحف فقد حوتها بطون الاسفار من الاحاديث واسماء الرجال - فابن سعد صاحب الطبقات يقول ان عبدالله بن عمرو بن العاص قيد فى الاسفار ماسمع من النبى عليه السلام(٢) وقد جمع الف حديث فى صحيفة سماها الصادقة (٣) وكان رأى هذه الصحيفة عنده مجاهد (٢) وبعد متوفاه وجد هذه الصحيفة حفيده عمرو بن شعيب (٤)

وقد قيل ان ابابكر الصديق رضى الله عنه قد جمع خمسمائة حديث وهو

---

(١) المطالعات الاسلامية ج ٢ ص ٨ - ٩ (٢) الطبقات ج ٤ قسم ٢ ص ٨ - ٩
(٣) اسد الغابة ذكر عبدالله بن عمرو بن العاص (٤) تهذيب التهذيب ج ٨ ص٥٤ .

الذى

الذى اضاعها ظنا منه انه ربما يكون فيها مالايعتمد عليها ولا يوثق بها (١) ؛ .

وكان عند على رضى الله عنه ايضا صحيفة ولم يكن فيها الا بعض القوانين (٢) .

وايضا كانت صحيفة حاوية على الحديث عندسمرة بن جندب رضىالله عنه(٣)

وايضا كانت صحيفة عند جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه وهى التى كان يروى منها مجاهد وقتادة وكان حفظة (٤) .

وايضا كانت عند سعد بن عبادة صحيفة ومنها قد روى ابنه بعض الروايات (٥) .

وقد ذكر البخارى رحمه الله فى رواية انها رويت فى بادئ بدئها من صحيفة كانت عند عبدالله بن ابى اوفى رضى الله عنه (٦) .

وكانت عند ابن عباس رضى الله عنه صحف عديدة ، ويدل على ذلك ما رواه الترمذى (٧) ان رجلا قد اتى اليه بكتاب من كتبه وقرأه عليه — وقدروى ابن سعد ان ابن عباس رضى الله عنه ماترك من الكتب كانت حمل بعير وكانت بعد موته فى يد ابنه على (٨) .

وقد ارى ابو هريرة رضىالله عنه الحسن بن عمرو بن امية الضمرى صحيفة كتبها (٩) .

اما صحيفة همام بن منبه المأخوذة عن صحيفة ابى هريرة رضى الله عنه فامرها غير خاف على الناس اكثرهم (١٠) .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص٥ (٢) بخارى كتاب الدية باب العاقلة (٣) المطالعات الاسلامية ج ٢ ص١٠ (٤) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٤٤—تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٠ (٥) ترمذى الاحكام باب اليمين مع الشاهد (٦) كتاب الجهاد باب الصبر على القتال (٧) كتاب العلل (٨) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢١٦ (٩) فتح البارى ج ١ ص ١٨٤ — جامع بيان العلم ج ١ ص ٧٤ (١٠) تهذيب التهذيب ج ١١ — ص ٢٧

وعدا هذه الصحف روايات وافرة تدل على ان الاحاديث قد حوتها بطون الاسفار فى عهد النبى المختار صلوات الله عليه وسلامه ؛ وقد قام بهذا المهم جماعة من الصحابة وجمعت قدرا ما ، يعتدبه .

وبعد هذه الروايات والاكتشافات الجديدة لم يبق ريب لمرتاب ان الاحاديث قد اخذت فى النسخ فى القرن الاول من الهجرة . واما امر التدوين فلم يبلغ الا الى حدما .

تدوين الحديث بعد عهد الصحابة

وكما قد ثبت بالدلائل الواضحة القوية التى لا تدع للشك مجالا ان الاحاديث قد قيدتها بطون الاسفار فى عهد النبى المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله الاطهار كذلك يسوغ لنا ويتأتى ان نقول من غير شك وارتياب ان تدوين الاحاديث فى ذلك العهد لامور خاصة واحتياج مهم ازاء التدوين ربما حال بين المسلمين حتى لم تتشمر لتدوينه عصبة من عصائبها بجد تام واهتمام خاص يجدر به — نعم قد اعتنى بشأنها فى الخلافة الراشدة واخذت هذه الحركة فى عهد عمر رضى الله عنه تسير رويدا رويدا وفى عهد عثمان رضى الله عنه قد اهتاج مستطيرا ؛ والى القرن الثالث من الهجرة اخذت اكناف العالم الاسلامى حتى لم تدع نسيمة تتحرك فى البسيطة الاسلامية شرقا وغربا الا وقد سالت جهدا وطفحت بها جدا ، اما اولئك الذين قاموا لسنته عليه السلام وشغفوا بها فقد بلغ عددهم ما الله عالم به — ومثلهم فى طلبها كمثل حفنة من تراب عبثت به العواصف فطارت وانتشرت شرقا وغربا جنوبا وشمالا — قد عم سفرهم العالم الاسلامى حتى لم تدع خطاهم بلدة شاسعة الا تخطتها ولم تذر رجبا هيهم باب محدث الا وقد نخرت دونها — اى تعب لم يقاسوه ؟ واى مشقة لم تتفصد بها ثنايا جبينهم عرقا ! انفقوا فى هوى الحديث ما قد رووا عليه من الاموال حتى لم يبخلوا فى سبيله على انفسهم — ولو لم يتحملوا فى طلبه هذه المحن ، ويكابدوا فيه هذه المشاق ، لما حيزت كنوز الحديث التى لا يجدر بالعالم الاسلامى ان يفتخر به وحيدا ، بل بالحرى ان يفتخر

به العالم الغلمي جميعا .

ولنقدم للقراء ما افصح به فضيلة الاستاذ المحقق غولد زيهر عما انطوت عليه سريرته مثنيا على هذه العصابة الكريمة - اى المحدثين « فى عالم الكون من جهة الى اخرى من الاندلس الى وسط آسيا اخذت سعاة الحديث الذين لم ترهمهم وجوه التعب تعبا كانوا يجولون حيارى من بلدة الى بلدة ومن بقعة الى بقعة ليجمعوا الاحاديث كى يفيدوا بها تلامذتهم والاحاديث التى قدانتشرت فى العالم الاسلامى لم يكن لجمعها باسلوب يعتبر به ويعتمد عليه سبيل الا تلك ولا طريق الا ذاك فالحق الصريح ان اللقب الثمين - اى لقب الجوال والرحال - هم كانوا به جديرين وله حقيقين ، وزد على ذلك ان النفوس التى لم تجب البسيطة شرقا وغربا مرة بل مرارا أليست بخليقة ان تخاطبها بجوالة الاقاليم؟ ولعمرى هذا الخطاب حرى ان يكون عن الغلو بمراحل وعن الاطراء بمعزل لانهم لم يجولوا البلاد ليستفيدوا به التجارب وينتفعوا بها بل لم يكن مرمى غرضهم من ذلك الا ان يجتمعوا مع المحدثين ويستفيدوا منهم الحديث حديث النبى الكريم (على صاحبه الف صلاة وتسليم) ولم يكن مثلهم الا كمثل عصفور لم يختر شجرة ولا فرعها الا لينقر ورقها رجاء ان يملأ صدره لطفا وروحه بهجة وسرورا » (١)

حركة طلب العلم

وما قال فضيلة الاستاذ غولد زيهر لايؤيده مثال ، بل امثلة وامثلة فان الاسفار ترى صدورها بها طافحة .

فمن ذلك ان الصحابة رضى الله عنهم اخذوا يسيحون فى بلاد شاسعة لطلب الحديث ، وبعدعصرهم لم تزل هذه الحركة فى رقى يوما فيوما ، فابو ايوب الانصارى رضى الله عنه لحديث فذ رحل من المدينة الى مصر وكانت رحلته هذه ليجدد مراجعة ذلك الحديث تأكيدا لحفظه (٢) .

---

(١) المطالعات الاسلامية ج ٢ ص ١٧٧ (٢) جامع بيان العلم ج ١ ص ٩٣ - ٩٤

وقد حثحث جابر بن عبدالله راحلته مسافة شهر ليسمع رواية من عبدالله بن انيس (١) .

وقد رحل رجل الى بيت المقدس ليسمع حديثا من ابى الدرداء رضى الله عنه شفاها (٢) .

ومكحول قد قاسى لطلب الحديث صعوبات السفر الى مصر والشام والعراق والحجاز (٣) وكذلك مسروق ساح كثيرا لأخذ الحديث (٤) وسعيد بن المسيب كان لسماع حديث واحد يواصل فى الاسفار الليل بالنهار (٥)

ولمثل ذلك امثال لايتيسر للجامع اذا اراد جمعها .

ان علماء الحديث قد كابدوا من المشاق فى طلب الحديث وتدوينه تعبا وتفكرا وتعمقا وتدبر الايقاس الاذاوقف من اراد التطلع عليه على عدد شيوخهم الذين لزموهم . وهذه العناية بشان الحديث وطلبه سوغتهم ان يحوزوا كنوز الحديث ويجمعوها – فمنهم ابواسحاق السبيعى (م سنة ١٢٦ ﻫ) قد اخذ الحديث من ثلثمائة اواربعمائة شيخ (٦) .

وعبدالله بن المبارك (م سنة ١٨١ ﻫ) قد اخذ من اربعة آلاف شيخ (٧)

وكذلك مالك بن انس (م سنة ١٧٩ ﻫ) استفاد من تسعمائة شيخ (٨)

وهشام بن عبيدالله قد تلقن الحديث من سبعمائة والف شيخ (٩) .

وابونعيم الاصبهانى قد حضر دروس ثمانمائة شيخ (١٠) .

وكتب احمد بن الفرات عن الف وسبعمائة وسبعين شيخا (١١)

وابن العساكر قد تضلع من ثلثمائة والف شيخ (١٢) .

---

(١) بخارى باب الخروج فى طلب العلم (٢) جامع بيان العلم ج ١ ص ٣٣ (٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٥ (٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٣ (٥) جامع بيان العلم ج ١ ص ٩٤ (٦) تهذيب الاسماء ص ٦٤٦ (٧) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٥٢ (٨) تهذيب الاسماء ص ٥٣٥ (٩) طبقات الحفاظ ٧ – ٦٩ (١٠) طبقات الحفاظ – ٥ – ٤٥ (١١) طبقات الحفاظ – ٩ – ١٥ (١٢) معجم الادباء ج ٥ ص ١٤

وقد

وقد لازم الزهرى سعيد بن المسيب عشر سنين (١) .

وحماد بن زيد (م سنة ١٧٩ ﻫ) قد صحب ايوب عشرين سنة ـ (٢) وربيع بن انس صاحب الحسن البصرى عشر سنين (٣) وجالس عمرو بن زارة ابن علية اربع عشرة سنة (٤) وقد قضى ابن جريج مع عطاء بن كيسان ثمانية عشر عاما (٥) وثابت بن اسلم قد حضر درس انس بن مالك اربعين سنة (٦) ولهؤلاء حملة الحديث لم يكن همّ فى حياتهم الا طلب الحديث وتدوينه حتى لم يبالوا فيه بنفائس نفوسهم وثمين حياتهم وكذلك الصحابة رضى الله عنهم بجدهم البالغ وسعيهم التام قد تلقنوا الحديث من نبيهم صلى الله عليه وسلم ومن معاصريهم ويتضح ما تحملوا من الاتعاب وما قاسوا فيه من الشدائد من كتب الحديث نفسها ، والى قرون بعد عصرهم لم تزل روح الجد ونشاط الطلب فى خلفهم جديدا ـ ويدلك على ذلك ان الزهرى قد انفق فى طلب الحديث طريفه وتالده من غير مبالاة واكتراث (٧) وكان شغفه بالحديث واشتغاله بصحفه قد بلغ مبلغا حمل قرينته على ان تقول « والله لهذه الكتب اشد علىّ من ثلاث ضرائر » (٨) .

وربيعة قد انفق كل ما كان يملكه من المال فى طلبه وآل امره الى انه باع ما كان فى بيته من الاثاث حتى حلق الحديد ، وكان يسدّ رمقه باردا تمر يرميه الناس (٩) .

وقد انفق ابن المبارك فى طلب الحديث اربعين الف درهم (١٠) ويحى بن

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١٣١ (٢) تهذيب الاسماء ص ٢١٨ (٣) تهذيب الاسماء ص ٢٠٠ (٤) تهذيب الاسماء ص ٥٠٦ (٥) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥٣ (٦) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣ (٧) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٧ (٨) وفيات الاعيان ذكر ابى بكر محمد بن مسلم الزهرى (٩) جامع بيان العلم ج ١ ص ٩٧ (١٠) معجم الادباء ج ١ ص ١٧ .

معين قد انفق فى طلب الحديث من تليده الف الف درهم وخمسين الف درهم حتى لم يبق له نعل فكان يمشى حافيا (١) وانفق على بن عاصم الواسطى مائة الف درهم الذى دفع ابوه اليه (٢) وكذلك الذهبى قد انفق مائة وخمسين الفا (٣) وابن رستم ثلثمائة الف درهم (٤) وهشام بن عبيد الله سبعمائة الف درهم (٥) والخطيب البغدادى قد بذل لطلبة الحديث عشرين الف الف دينار (٦) وفيه كفاية لمن اراد الوقوف على شغفهم بالحديث ومن اراد الزيادة فله مجال فى مثل هذه الامثال (٧) ليت شعرى لو أن طلبة هذا العصر وعلماءه اتعظوا بسوقهم وعبروا بشوقهم، لكانوا من انجح الناجحين واسعد الفائزين .

طلبة الحديث وعددهم الكثير

لا يخفى على الناقد البصير أن تدوين الحديث لم يكن من الاعمال التى تبلغ مبانيها بجد شرذمة من الناس وعلى ذلك صحبه عليه السلام ــ حملة الحديث بعد متوفاه ــ انتشروا فى البلاد الشاسعة لسعة نطاق الحروب والفتوحات فمن المستحيل ان ترجع بعد هذا الانتشار ووجود الحروب الى اوعية الحديث وحفظتها مثلهم وتجمع منها شيئا يسيرا فضلا عن ان تقوم باعباء جمعه وتدوينه وتبلغ فيه مبلغا يليق بشانه ــ نعم جلالة موضوع التدوين وجمع الحديث هوّن على الجميع كل عسير ، واضف اليه حبهم البالغ وولههم الغريب بالاسلام وبالنبى عليه السلام، قد انشأ فيهم روحا جرأهم عليه فقام بذلك العبء العظيم عدد لا يحصى .

اما طلبة الحديث فى ذلك العصر الزاهر فلا يحصى عددهم ولكن نقدم لمن اراد الاطلاع عليه بعض ما تيسر لنا وان لم يزد على قطرة من اليم والفيان من الديم ليكون على بصيرة من شغف اولئك الطالبين الراغبين .

---

(١) تهذيب الاسماء ص ٦٢٩ — ٦٣٠ (٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٩ (٣) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١١٢ (٤) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٧٤ (٥) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٥٥ (٦) معجم الادباء ج ١ ص ٢٥٥ (٧) ارجع الى تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٠

اما

اما فى عصر الصحابة فقدقيل ان تلامذة ابي هريرة رضي الله عنه قدانااف عددهم على ثلثمائة تلميذ (١) وفى زمان الامام ابن سيرين قدبلغ عدد طلبة الحديث فى الكوفة اربعة آلاف (٢) وكان يصاحب ابا الزناد بالمدينة ثلثمائة طالب (٣) وفى درس امام دار الهجرة مالك بن انس كان يحضر من الطلبة ما الله عالم به، وكان يضيق بهم المقام حتى ربما آل امرهم فى ذلك الى النزاع والخصام (٤) وكان يحضر فى خطب الحديث التى كان يلقيها على بن عاصم ثلاثون الف طالب (٥) وفى الخطب التى كان يلقيها سليمان بن حرب كان يحضر اربعون الف طالب (٦) وكان يحضر مجالس عاصم بن على بن عاصم خلائق حزروا بعشرين ومائة الف (٧) ولما قدم ابو مسلم الكجى الى بغداد واملى فى رحبة غسان فكان فى مجلسه سبعة مستملين كل واحد منهم يبلغ الآخر، وكتب الناس عنه قياما، ثم مسحت الرحبة وحسب من حضر بمحبرته فبلغ نيفا واربعين الف محبرة سوى النظارة (٨)

---

(١) تعليم محمد وسوانحه لاسفر نغر — ص ل — ١١١ (٢) تدريب الراوى، طبع مصر ص ٢٧٥ (٣) تهذيب الاسماء طبع اوربا ص ٧١٩ (٤) تهذيب الاسماء ص ٥٣٤ (٥) تذكرة الحفاظ — ج ١ ص ٢٩٠ (٦) طبقات الحفاظ الطبقة السابعة رقم ٧١ (٧) طبقات الحفاظ، الطبقة السابعة رقم ٩١ (٨) طبقات الحفاظ الطبقة التاسعة رقم ١٠٠، وقد توجد امثلة اخرى كمثل ما ذكرت، فى طبقات الحفاظ، وتذكرة الحفاظ وغيرهما من كتب اسماء الرجال — وربما استحال البعض سماع هذا العدد الخطير فى عصر لم تكن فيه آلة نشر الصوت، ولكن يثلج الصدر ببرد اليقين حين يوقف على دأب المحدثين فى القاء الخطب او الدروس فكان دأبهم ان الشيخ كان يرتقى مرتقى مرتفعا متوضئا لابسا لباسا فاخرا كرامة للحديث النبوى، ثم بعد الحمد والثناء كان يسوق سند الحديث بصوت جهر ويلقى عليهم الحديث فقرة فقرة يسكت فى اثنائها لتتلقاها وتكتبها الطلاب الذين كانوا اقرب منه مجلسا، وبعد أن يتلقاها الادنون فهم كانوا يلقونه على من

اختراع الحديث او وضعه

اى علم كان لو سعى فى جمعه وتدوينه من حملته العديدة وطلبته الكثيرة ، واضف الى ذلك ان امة كائنا ما كانت لو تأثرت مثلما تأثرت الامة الاسلامية بالحديث فى جميع شعب حياتها انفراديا كان او اجتماعيا، سياسيا كان او دينيا، خصوصيا كان اوعموميا ، لجاز بل وجب له ان يكون عرضة التصحيف والتحريف ، وان لايعرى عن وصمة الاختراع والافتراء والوضع والقطع ؛ لان اقتضاء الظروف والاحوال كان داعيا قويا ـ ووجود الاختراع والوضع الكثير بكوماتها المكومة اول دليل على ما اشرنا اليه من وصمة الوضع وفتنة الاختراع فى ذلك . وقد اتفقت أئمة الحديث بأسرها على ان احاديث كثيرة قد وضعت بل منهم من يدعى ان الوضع الذى بلى به علم الحديث لم يوصم به جبين اى علم من العلوم ـ ولكن تحزب المسلمين سياسة وتشعبهم فرقا ، وزد على ذلك خضوع بعض الاحزاب لاله المطامع الدنية واتباعهم سلطان الهوى المردية وخور بعض ضعفة الايمان وسذاجة بعضهم ، وعلى ذلك طيش عقولهم فى بلوغهم الحقيقة ، كل ذلك كان ينمو شيئا فشيئا ويدب دبيبا خفيا ولم يلبث حتى آض سيلا جارفا كاد يزعزع دعائم علم الحديث ويقوض خيامه ـ فمن هذه الفتن لو قضت واحدة على هذا العلم الشريف ولم تغادر له عينا ولا اثرا لما كان عجيبا .

نشأة وضع الحديث

قد زعم سر وليم ميور أن عهد ذى النورين رضى الله عنه كان عهدا ارتقى فيه وضع الاحاديث (١) وعند العلماء عامة ان وضع الاحاديث اخذ فى عهد الامويين نحو غيره من الفتن السود ولكنى ارى ان نشأته كان عهد النبى الامين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين وذلك لان المشركين كانوا يضادونه

= يدنو منهم وهلم جرا . وهذا الاسلوب الدرسى قد اورده الأئمة فى كتب الاصول ومن اراد المراجعة فليراجع فتح المغيث شرح الالفية للعراقى .

(١) لائف آف محمد ص ٣٦ .

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ولم يكن مضادتهم له الازاد وارتقى شيئا فشيئا فاذن لايستغرب انهم تلفقوا من عند انفسهم اقوالا وانما لانسبوها اليه، صلوات الله عليه، وبثوها فى العرب كمثل « تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى » قد رويت هذه الالفاظ من طرق شتى ولكن جميع طرقها اقرب الى الوضع . ويؤيد ما اقول قول امام الظاهريين، الامام ابن حزم رحمه الله رحمة الابرار وادخله جنات تجرى من تحتها الانهار، فى كتابه الاحكام فى اصول الاحكام، ان الاحاديث قد وضعت فى عهده صلى الله عليه وسلم؛ ويدل على ذلك ان رجلا بعد هجرته عليه السلام جاء الى رجل من قبيلة وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال ان يزوجه اهل القبيلة منهم امرأة مخصوصة فبعث القبيلة رجلا منهم ليتفحص الحال فلما وقف عليه السلام على هذه الفرية امر بقتل ذلك الرجل الكذاب(١) فمن اراد الجمع لمثل هذه الشواهد يتيسر له ذلك فى اليسير جمع الكثير ولا يستغرب اذا قيل ان الوضاعين قد سعوا فى وضع الاحاديث ونشرها فى المسلمين فى اوائل العهد الصديقى حينما عب عباب الارتداد .

بل لو ظن ظان اوقال قائل ان الشدة التى كانت فى عهد الخليفتين المرضيين ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فى رواية الحديث للتوقى فى الحديث من الوضع لساغ له ذلك — ومنذ ما تفرق المسلمون اربا اربا وتحزبوا احزابا عصر فتنة كانت فى عهد عثمان رضى الله عنه، فمن ذلك الحين اخذت فتنة وضع الحديث تنمو شيئا فشيئا وما نقله الناقلون من وقائع عديدة عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنه يدل ايضا على ان عصره لم يخل من وضع الاحاديث ودبيب هذا الفساد وان كان خفيا، لكنه اخذ يستفحل يوما فيوما حتى اصبح على هذا الفن الشريف خطرا عظيما وخطبا جسيما، ويشهد على ذلك الاسفار الضخمة فى الموضوعات واقوال السادة من المحدثين .

نعم قد كان فى نشر هذه الفتنة سهم كبير للمنافقين واخوانهم الزنادقة والملاحدة ولكن لم يقصر فى وضع الاحاديث القصاصون والواعظون جهدهم

---

(١) الاحكام فى اصول الاحكام ص ٢-٣ — ٨٣ — ٨٤

لمستطاع ايضا وان الاحزاب السياسية و الفرق الدينية ان لم تأل جهدا في افساد هذا الفن المقدس فاولئك المقدسون المخلصون من العلماء الذين جعلوا ديدنهم الوضع للمقاصد الدينية معرضين عن الحزم والاحتياط لم يتأخروا عن غيرهم في تكدير هذا البحر الزاخر والفن الطاهر ايضا (فانا لله و انا اليه راجعون) .

وضع الحديث والزنادقة وفرق اخرى من المسلمين

الف ـ الزنادقة على قول حماد بن زيد قد وضعت اربعة عشر الف حديث ثم نشرتها في المسلمين (١) وابن ابي العوجاء بخصيصة نفسه قد وضع اربعة آلاف حديث (١) وحيث ان العلماء خاصة والمسلمين عامة كانوا على علم من زندقتهم وعدم تدينهم فلذلك لم تكن فريتهم خطرا الا الى حد ما ، لكن البلاء العظيم والداء العقيم لم يكن الا زعماء الفرق السياسية ودعاة الفرق المذهبية التى لم تزل الدولة من حماتها بسطوتها وسيطرتها وشوكتها واعظم من ذلك كله كانت سيادة الارشاد المتمكنة من كل فؤاد بصبغتها الدينية ونفوذها التام ، لم تكن تسوغ لاى رجل ان يخطر بباله ان امثال هؤلاء الدعاة الدينية وحماة الوية التقوى يفترون على نبيهم عليه السلام ويختلقون روايات عنه فرية وزورا ثم يبثونها في ابناء جلدتهم و شركاء دينهم .

ولا يخفى ان الطمع في حطام الدنيا بل رجاءه المحض ، ربما كانت اشد تأثيرا في الفساد و الباطل من الصداقة المحضة والحق الصريح عموما .

والتاريخ الاسلامى ايضا يشهد أن الحب الحزبى في افئدة زعماء الفرق الدينية كان رسخ من اساس الدين ! ففضحوا الاصول الدينية عن الحب الحزبى وربحه الخسيس غير مكترثين ولا مبالين ـ وادل دليل واقوى شاهد على ذلك ان مهلب بن ابى صفرة القائد لعبدالله بن الزبير رضى الله عنهما والشديد البغضاء للخوارج قد رمى بوضع الاحاديث ضد الخوارج (٢) وكذلك عوانة بن الحكم وغيره الذين كانوا يحمون جانب الامويين قد وضعوا الاحاديث في حمايتهم

(١) تدريب الراوى ص ١٠٣ (٢) الكامل للبرد طبع اوربا ص ٦٣٢ ـ ابن خلكان طبع اوربا رقم ـ ٧٦٤

ولنصرتهم

ولنصرتهم (١) وقد وضع ابو العيناء احاديث فى تأييد الشيعة وموافقتها (٢) وقد زور محمد بن القاسم الطالقانى وغيرهم المنتمون الى المرجئة احاديث لنصرتهم ورفعوها الى النبى صلى الله عليه وسلم (٣) ومحمد بن حسين السلمى وغيره قد افتروا الاحاديث فى تعضيد الصوفية (٤) وقد اخترع محمد بن الحسين وغيره الاحاديث طبق آراء السنيين (٥) وخلاصة القول ان كل فرقة وكل حزب قد وضع الاحاديث نصرة لرأيها وتعضيدا لمسلكها – والحق الصريح الذى لا يشوبه غبار الباطل ان الاحاديث المشعرة بفضائل الاشخاص ومناقب القبائل والبلاد والفرق المذهبية والاحزاب السياسية اكثرها ثمرة طباع الوضاعين ؛ ولذلك نظمها العلماء الراسخون المحتاطون فى سلك الموضوعات .

ب – القصاص

اما القصاص فلم يكونوا اقل خطرا – بل كانوا ادهى داهية للحديث من الاحزاب السياسية والفرق الدينية – وتاريخهم لا يخلوعن الطرف الرائقة والاعاجيب الشائقة .

اما نشأتهم فنقول انها كانت فى عهد الخليفة المرضى صاحب النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه – ويقال انه رضى الله عنه قد بعث بعوثا منهم – وفى بادئ بدئها قد بعث تميم الدارى حسب رواية (٦) وعبيد بن عمير على اخرى (٧) قاصا من طرف الدولة .

وكان من واجباتهم المتحتمة عليهم ان يذكروا الناس بالاحاديث ويعلموهم المسائل الدينية .

وفى عهد معاوية رضى الله تعالى عنه انقسم هؤلاء على فرقتين – فرقة

---

(١) معجم الادباء ج ٦ ص ٩٤ (٢) لسان الميزان ج ٥ رقم ١١٣٦ (٣) تدريب الراوى ص ١٠٣ (٤) لسان الميزان ج ٥ رقم ٤٦٦ (٥) لسان الميزان ج ٥ رقم ٤٣ (٦) المطالعات الاسلامية ج ٢ ص ١٦١ – ١٦٢ (٧) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٤١ .

عرفت بالقصاص العامة واخرى بالقصاص الخاصة - فالاولى كان من واجباتها ان تسمع المسلمين ما صدر من السلاطين وعمالها من الاعمال الحسنة والامور الجليلة لتسخر بها افئدتهم وتنشأ العواطف الحسنة فيهم - (١) .

وفى عهد مروان الاول والعباسيين قد استعمل هؤلاء القصاصون فى الحروب ليسكنوا جاش الناس ويثبتوا اقدامهم ويملؤا صدورهم حماسة واقداما (٢) وفى هذه الايام قد كثر عددهم وانتشروا فى العراق ووسط آسيا ، وأخذ هؤلاء المصاقع يعظون الناس فى المساجد والشوارع فتمكنوا من المسلمين ببيان سحر الالباب وملك الفؤاد وفيهم قد قال محدث القرن الثانى ابن عون لم يكن يحضر فى حلقات دروس المعلمين والمحدثين فى المساجد من الطلبة الا عدد الانامل واما مجالس القصاصين فكانت تطفح رحابها بالسامع (٣) .

واخذ نفوذهم فى الناس ينمو رويدا رويدا حتى استفحل امرهم واصبحوا عقبة كئودا بل خطرا عظيما فى سبل التعليم الصحيح ، وخيف على الامن ان يصاب بثلمة ويعم الفساد - وناهيك ان امام دار الهجرة مالك بن انس قد اضطر فضرب دونهم ابواب مسجد المدينة مسجد النبى عليه السلام (٤) .

وفى غضون سنة اثنتين وسبعين بعد المائتين نهوا عن النزول فى مساجد بغداد وسبلها ثم صدر تجديد هذا الامر مرة اخرى فى غضون سنة اربع وثمانين بعد المائتين (٥) .

ومن قاصمة الظهر التى كانت منهم للمسلمين والاسلام انه لم يكن لهم اعتناء بالقرآن ولا بالحديث ولا بالاسلام واحكامه واصولها انما كان نصب اعينهم ان يستولوا على افئدة المسلمين ويتمكنوا منها فان اضحكوهم بخزعبلاتهم لم يضحكوا الا ليسلبوا اموالهم او ابكوهم بشقشقتهم لم يبكوا الا ليختلسوا ما فى اكياسهم

---

(١) كتاب القضاة ص ٣٠٣ - ٣٠٤ (٢) المطالعات الاسلامية ج ٢ ص ١٦٢ (٣) المطالعات الاسلامية ج ٢ ص ١٦٤ (٤) المطالعات الاسلامية ج ٢ ص ١٦٨ (٥) الطبرى ج ٧ من الجملة الثالثة ص ٢١٣١ و ٢١٦٥ .

هؤلاء

هؤلاء الدهاة هؤلاء العبيد ، عبيد الدنيا ، عبيد الدينار والدرهم كانوا عارفين بنفسيات الفوضى بصيرين بألباب العوام انه لا يسرهم الاحاديث العارية عن التشدق ، ولا الاقوال الصادقة الساذجة من احكام الاسلام التى تفوه بها النبى صلى الله عليه وسلم ، بل الذى يروقهم هو القصص الغريبة والاسمار الرائقة ، وعلى الاعمال الحقيرة عدة الاجور الكثيرة من الله المتعال .

ولما لم يجد هؤلاء العبيد ، عبيد حطام الدنيا ، امانيهم فى الحديث ، اخذوا يختلقون الاحاديث من عند انفسهم ويرفعونها الى النبى الكريم عليه افضل الصلاة وازكى التسليم ، فكانت تقبلها الفوضى من المسلمين وعوامهم الراضين . وسترى بطون اسفار الموضوعات وذكر الرجال طافحة بذكرهم وذكر غرائب قصصهم وترهاتهم الباطلة .

وبالحرى ان نقدم مثالا انيقا للقراء من افكهم المضحك ان الشاعر الشهير فى عصر هارون والمامون ، كلثوم بن عمرو العتابى مرة « قام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه ارنبة انفه لم يدخل النار فما بقى احد الا واخرج لسانه يومى به ارنبة انفه ويقدره حتى يبلغها ام لا امتحانا لنفسه انها هل ممن تنجو من نار الجحيم وتدخل جنة نعيم (١) .

ومرة تشاور القصاصان فقام احدهما على جنب طريق يبث فى الناس فضائل على كرم الله وجهه والآخر على جنب آخر من ذلك الطريق يسوق فضائل الصديق رضى الله عنه ، ونال كل منهما من الشيعة والخوارج اموالا ، فجمعا ما كان حصل لهما ثم اقتسم كل منهما من هذا الكسب الطيب نصفا نصفا (٢) وسترى امثال هذه الحكايات قد طفحت بها صدور اسفار الموضوعات واسماء الرجال ولسان حال الحديث يتاوظلمهم ويشكو جورهم فهل من معتبر يعتبر ومدكر يدكر .

---

(١) كتاب الاغانى ج ١٢ ص ٥ (٢) يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٨٢ .

ج ـ طبقة الزهاد والمتبتلين

وعلى شناعة ما بيناه وفظاعة ما اوردناه آنفا، علم الحديث لم ينل من القصاص فسادا يعبأبه ازاء الزهاد لان اختراع القصاص ووضعهم كان محدودا فى طبقة الجهلة الفوضى من العوام الذين لم يكن لهم ولا ادنى علاقة بالحديث وادبه ـ اما المهرة من المحدثين فكان لهم يد فى معرفة الحديث ونقد الرجال، وباع طويل فى اصول الحديث واصول النقد؛ ولذلك كانوا بابعد منزل من ان ينخدعوا بخزعبلاتهم واباطيلهم.

ولكن داهية، واية داهية، وفتنة، واية فتنة، قد عمت الحديث من اولئك الفطاحل الذين صيتهم قد عم المشارق والمغارب ولم تجد ولاواحدا ينكر عليهم فضلهم وزهدهم وورعهم وتقواهم ونيتهم الخالصة وشغفهم الدينى من السابقين واللاحقين ـ ولكن من سوء الحظ قداشرب فى قلوبهم وتغلغل فى عقائدهم ان الذى يضع الحديث لاغراض دينية مع نية خالصة وسريرة طاهرة لايجوز له وضع الحديث فقط، بل يثاب عليه الفاعل اى الوضاع.

ولذلك قد وضع كثير من الزهاد المخلصين ألوفا من الحديث ترغيبا وترهيبا ورفعوها الى النبى عليه الصلاة والسلام.

فهذا نوح بن ابى مريم قد استفاد من اكثر محدثى عصره، وكان هوايضا يعد فى اكابر الفقهاء والمحدثين، ولغزارة فضله كان يعرف بالجامع، وكان قاضى مرو فى عهد المنصور العباسى؛ ومع هذه المزايا قد روى كثيرا من الاحاديث فى فضائل سور القرآن الكريم ـ ولماسئل عن رواتها اعترف بانه قدوضعها بنيته الخالصة لوجه الله رجاء ان يصرف بها عباد الله الى كتابه المجيد(١).

وكذلك ابان بن ابى عياش كان يعد من المتبتلين الى الله ولكن شعبة بن الحجاج قد علم اكثر رواياته الخمسمائة والف بالوضع (٢).

---

(١) ميزان الاعتدال طبع مصر ج ٤ ص ٢٤٥ ـ تدريب الراوى ص ١٠٢

(٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٧ ـ ٨.

واحمد بن محمد الباهلی کان یعد فی زهاد عصره ولکن روایاته الاربعمائة قد نظمها ابو داود فی سلک الموضوعات ثم هو بنفسه قد اقر بانه وضعها لترقیق افئدة عباد الله (١) .

وسلیمان بن عمرو النخعی کان معاصر امام السنة احمد بن حنبل رضی الله عنه وکان یعد فی الزهد والعبادة فرید عصره ومع ذلک کان یعرف عند نقدة الحدیث باحسن الالقاب ، لقب الوضاع الکذاب (٢) .

فاذا اراد مرید أن یقف علی ما بلی به علم الحدیث وادبه من الجور والجفاء وان کان من غیر عمد من هؤلاء ارباب التقدس والاخلاص وهیاکل الزهد والتقوی فلینظر الی کتب الموضوعات ونقد الرجال ولیمعن فیما صنعوا بادب الحدیث من صنیعهم وما فعلوا به من افاعیلهم .

هؤلاء المنافقون الماذقون بل الاعداء فی لباس الاصدقاء المعربدون وعبید الدنیا الغدر القصاصون ، والصالحون والسذجة الاغرار المقدسون ماذا فعلوا بالحدیث وادبه واتوا علیه بداهیة دهیاء وحالقة صماء لن تجد مثله فی ای ادب ودین من الاولین والآخرین — ضل سعیهم فی الحیاة الدنیا وهم یحسبون انهم یحسنون صنعا .

جد المحدثین الکرام فی تحقیق الحدیث وتنقیبه

کما ان علم الحدیث وادبه من حیث الوضع والاختراع فیه لا یشابهه مشابه ولا یجاریه مجار فی اندیة ای ادب من آداب الدنیا ، کذلک هو نسیج وحده وفرید عصره من جهة حزم حاملیه واحتیاطهم فیه وخوضهم فی تنقیبه بدقة نظر وامعان — هذا وان اقر المحدثون الکرام فی جنب بان علم الحدیث کما بلی بآفات الاختراع والوضع لم یبل بمثله ای ادب من الآداب ،

ففی جنب آخر جمیع المهرة الحذاق والجهابذة النقاد من المسلمین وغیر

(١) میزان الاعتدال طبع مصر ج ١ ص ٦٧ — لسان المیزان ج ١ رقم ٨٣٢

(٢) تدریب الراوی ص ١٠٢ ، میزان الاعتدال ج ١ ص ٤١٩ .

المسلمين قد اذعنوا وسلموا فى ان هـذا العلم كما رزق من ذويه فى التنقيب والتمحيص من دقة النظر والامعان التام لم يوجد له فى السابقين ولا فى اللاحقين مثال، فى جميع الآداب شرقا وغربا ـ وكما انهم فدوا فى سبيله ثمين انفسهم ونفائسهم لم يوجد له نظير ولن يعثر له على مثيل .

ومن اراد شاهد ذلك فليتدبر فى اذعان فضيلة الاستاذ الحائز قصبات السبق فى التحقيق المستشرق نكولسن بقول ابن قتيبة ان ليس لامة سنة مثل سنتنا » وكذلك فضيلة الاستاذ المحقق مارغوليتهه قد جاهر بقوله ليفتخر المسلمون كما شاؤا بعلم حديثهم ـ وسبق منا مثل مما اثنى به فضيلة امام النقدة والحذاق غولدزيهر، على المحدثين وسعيهم المشكور وجدهم البالغ وتحقيقهم الغائر فى تدوين الحديث وجمعه .

وما قدمناه آنفا من تاريخ وضع الاحاديث واختراعها مختصرا فلقطع دابره واستئصال شأفته، لم يزل عدد وافر من المؤمنين المتقين الذين كانت سجيتهم الصدق ووظيفتهم الاحتياط ـ وقد كانوا رحمهم الله تعالى بمعزل عن امانى العز وطلب الجاه، ولم يكن لهم اعتناء بحطام الدنيا، ولم يمسهم من حب الامارة وطلب السلطنة ادنى اثر، جعلوا الصدق والاخلاص ديدنهم وملكوا تقوى الله جميع عواطفهم؛ وقصارى اصولهم فى معاشرة الناس لم يتجاوز الحب لله والبغض فيه قولا وعملا؛ لم يدعوا شعارا لحزم والاحتياط للحظة فى الاقوال والاعمال؛ قد باعوا نفوسهم لمرمى غرض وحيد وهو الحديث، حديث الرسول صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الف صلاة وتسليم ـ فوقفوا حياتهم بتبليغه وتفانوا فى تدوينه وتهذيبه؛ لم يخدموا الحديث كسبا، اوليبلغوا به عزا وجاها، او ينالوا به سمعة، او ينشروا لهم به ذكرا؛ بل كما قال سفيان الثورى طلب الحديث علة يتشاغل بـه الرجل » (١) فيسلب قدرتهم حتى عن انفسهم ويملكهم حتى عواطفهم فكانوا يسيرون تحت زمامه خاضعين ولقيادته مقتدين ـ اولئك كانوا ارحى الحديث قطبا واقصروه الشامخ عمدا ولولا تحملهم

---

(١) جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٢٩ .

المشاق و مكابد تهم المحن لما حزنا من الحديث ما حزنا كنزا ثمينا وذخرا عظيما .

هؤلاء الكرام هم الذين جمعوا الحديث من عهد النبي الكريم بحزم تام واحتياط بليغ ومن رام الاطلاع على ذلك فليراجع اى كتاب من كتب الحديث واصوله ورجاله ، يقضى به عجبا ويندهش به رعبا وخير الذخر فى ذلك ما جمعه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ، والخطيب البغدادى فى رسالته تقييد العلم وفاضل عصرنا العلامة سليمان الندوى ايضا من الذين قد خاضوا غماره وفازوا بما يستحقون عليه الثناء .

قد اخذ الصحابة بيد الحزم والاحتياط فى رواية الحديث وجمعه من عهد النبي عليه السلام ابو بكر الصديق (١) وعمر الفاروق (٢) رضى الله تعالى عنهما لم يكونا يقبلان من الحديث لفظة الا بالشهادة العادلة ، وعلى عليه السلام كان يستحلف الراوى (٣) وعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان رجلا يهاب الحديث (٤) خيفة من الخطاء فيه .

وقد بالغ عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه فى ذلك حتى خضع دونه الناقد البصير غولدزيهر واذعن له (٥) ثم اثر عهد الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما زاد عدد الوضاعين وعمت حريتهم كذلك اشتد الحزم والاحتياط من اولئك المحدثين الذين جعلوا الحزم ديدنهم والاحتياط شعارهم وكذلك قاسم بن محمد ورجاء بن حيوة ومحمد بن سيرين وابو الزناد ويحيى بن سعيد اخذوا يشددون فى الرواية وقبولها (٦) وبعد عهد التابعين أخذ تبع التابعين يشددون فى ذلك اكثر مما شدد التابعيون فيه حتى ان مالك بن انس رضى الله عنه اذا اشتبه عليه

---

(١) سنن ابى داود كتاب الفرائض باب الجدة (٢) سنن ابى داود دية الجنين ، صحيح البخارى الاستئذان ، مسند ابى داود الطيالسى ص ٩٤ ، طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٣ – ١٤ (٣) سنن ابى داود صلاة – استغفار ، مسند ابى داود الطيالسى ص ١٠ (٤) طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٩ (٥) المطالعات الاسلامية ج ٢ (٦) جامع بيان العلم ج ١ ص ٨٠ – ٨١

لفظة من الحديث كان يرد تلك الرواية باسرها ولم يقبلها (١) .

وكانت له رضى الله عنه فى قبول الرواية شرائط لايتعداها فاذا وافقتها قبلها ، والافلا ـ منها (الف) انه كان يرد رواية البله ، (ب) ومن كان ينشر العقائد الباطلة لقصور عقله ، (ج) ومن جعل دأبه الكذب عموما وان كان محتاطا فى رواية الحديث ، (د) ومن كان معتبرا فى روايته لكنه لم يكن يعلم موضوع روايته وخبيرا بمبحثه (٢) .

وكان كذلك معاصروه رضى الله عنهم كشعبة بن الحجاج وسفيان الثورى وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض وغيرهم كانوا يشددون فى رواتهم .

وبعد عهد اتباع التابعين حينما سال سيل فتنة الوضع من الفسقة والوضاعين فى جنب واحد ، فأخذ احتياط ولاة الحديث واربابه المخلصين فى جنب آخر يزداد شدة ؛ حتى ان الامام الشافعى رضى الله عنه الذى كان من ارشد تلامذة مالك رحمه الله كان اشد نقدا لروايات شيوخه الكبار كمالك وامثاله (٣) وكانت مراسيل الزهرى رضى الله تعالى عنه عنده مما لم يجدر بالقبول (٤) ويحيى بن معين رحمه الله لم يكن يجمع من الروايات الا ما تعددت طرقه واقل ما ثبتت عنده من ثلاثين طريقا (٥) .

وكان ابراهيم بن سعيد يدعى انه لم يجمع فى كتبه من الروايات الا ما ثبتت عنده روايتها من مائة طرق مختلفة (٦) .

اما امام السنة احمد بن حنبل فكان فى الاحتياط والحزم فى الرواية نارا على علم فى اندية العلماء .

والحق ان مسنده قد جمع روايات غير قليلة قد قيل فيها انها اضعف

---

(١) تهذيب الاسماء ص ٥٣١ ـ ٥٣٢ (٢) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٤٨ ـ تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٤ ص ١٧٢ (٣) رسالة الامام الشافعى ص ٥٢ ـ ٥٣ (٤) الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٠ (٥) تهذيب الاسماء ص ٦٢٩ (٦) طبقات الحفاظ ـ طبقة ـ ٨ ـ رقم ١٧

الروايات

الروايات ؛ ولكن لم يكن من شرطه فى مسنده انه لا يروى فيه الا ما يستحق القبول بل لاحظ فى جمعه ما كان يحتمل الصحة احتمالا ما ، رجاء ان يقدر له النقد . اما نقد امامى السنة البخارى ومسلم فقد خضع دونه الفطاحل سلفا وخلفا حتى ان حذاق المحققين والجهابذة من عصرنا قد سلموا لهما الفضل فيمن سلف وخلف (١) والحق ان الذين يعول عليهم من المحدثين لاحتياطهم البالغ تآليفهم انطق بلسان الحال قبل ان ينطقوا بلسان القال — وذلك لانهم اذا وجدوا ولو ادنى خلف او فرقا ما فى مروياتهم اوردوه بعينه وسترى ذلك فى كل ما الف من زمان تأليف المسند لابى داود الطيالسى من كتب الحديث المعتبرة .. حتى ان عبدالله ابن امام السنة احمد بن حنبل الراوى لمسند ابيه قد اوضح الفرق الكائن فى اللفظ قراءة وكتابة كما وجد فى محل من المسند لفظة مكتوبة بمقطعات فاوضح ان هذه اللفظة المكتوبة بالمقطعات قد وجدت هكذا فى الاصل ولكنى حينما قرأتها على شيخى فقرأها مركبة (٢) ومسئلة الرواية بالمعنى والرواية بالالفاظ التى تبحث كتب الاصول فيها ، اوثق شاهد وادل دليل على انها وجدت جماعة من المحدثين اول عصر الجمع ، وان لم يكن من بادئ بدئه فمن اقرب ما يكون بعده ولم تكن تدع الاحتياط فى رواية الحديث بجهدها المستطاع .

وهؤلاء خدم الحديث المخلصون ، للتنقيب عن الحديث ، بلغوا فن الاسناد ذروة الكمال ؛ ولاستعمال الاسناد ونقده جمعوا ذخرا كريما وكنزا عظيما من اسماء الرجال الذى ليس له فى العالمين مثال ؛ حتى ان فضيلة الاستاد المحقق الطائر الصيت اسفرنغر ومرجليوث وغيرهما اثنوا عليهم الثناء الجميل — وهم الذين جاهروا بسوآت الوضاعين علنا وطالعوا الاحاديث حديثا حديثا بامعان وثبت ثم حللوها وجزأوها ، وقابلوا بين الاحاديث المؤتلفة المعنى ، واخترعوا لها اصول الدراية والرواية ؛ واخرجوا الموضوعات من مكامنها ، وفتشوا عن

---

(١) ترياديشن آف اسلام — ص ٢٩ (٢) مسند احمد ج ٤ ص ٩١

الاحاديث المدرجة ، ثم نبهوا على اللفظ المدرج ومحله ؛ ولنقاء الحديث من الموضوعات اخترعوا اصولا دونك بعضها .

(الف) ما روى فى المناقب وفضائل الاشخاص والقبائل والبلاد من الروايات اعمها ساقطة الاعتبار لا يعول عليها (ب) ما بشر بها الاجر الكبير ازاء العمل الصغير فان اعمها موضوعة (ج) ما بحث فى اصطلاح اوامر دنيوى يبعد كل منها من شأن الرسالة جدير بان لا يقبل عموما . ومن شاء الاطلاع عليها بالاستقصاء فليراجع كتب الاصول من الفقه والحديث يراها مشحونة بها - فهؤلاء خدم الحديث بجهادهم العلمى قد قطعوا دابر الوضاعين فى جهة ، وفى جهة اخرى الفوا تاليفات قد حظيت بالقبول وعول عليها النقاد فى الصحة فجعلوا لها محلا ورتبوا لها مراتب من حيث درجة قبولها وصحتها فعدت كنزا عظيما وذخرا ثمينا وليس ببعيد أن لا تخلو هذه التاليف والمجاميع ايضا من الروايات الساقطة عن الاعتبار ، بل الحق ان المحدثين الكرام بانفسهم تعقبوا على بعض اجزائها ، ومع ذلك لاريب لمرتاب ان المحدثين لسعيهم البالغ وجهدهم التام قد اعدوا النقد ها وتهذيبها عدة تدافع عن حوزتها وتناضل من ورائها بل يسوغ لى ان ابوح بلسان طلق وبيان ذلق من غير أن اخاف لومة لائم واورد راداً أن ما عندنا من عدة النقد والتمييز بين صحتها وضعفها ورفعها ووضعها لا توجد امة علمية تقدم ازاءه ادنيها ولو بلغت مناط الثريا .

وما ذكرناه آنفا من الحركة فى المحدثين لسد ابواب وضع الاحاديث بثبات الجاش فقد اخذ فى عهد النبى عليه السلام وجعل يدب دبيبا ويسير رويدا كما دلت عليه الاحاديث نفسها من حيث لم تدع للشك مجالا ، وقدمته آنفا ولكن مع ذلك فضيلة الاستاذ المحقق غولدزيهر يرى ان ذلك قد بدأ فى غضون القرن الثانى والثالث من الهجرة وانبث فى المحدثين فيه فانه يقول « ان السبيل السهل الذى سلكه المتقون من المحدثين فى سعيهم البليغ لاستئصال الوضع فى الاحاديث وقطع دابره لأغرب ما يوجد فى التاريخ الادبى فانهم استعملوا لهذا الغرض الدينى

الاحاديث

الاحاديث الموضوعة والمدرجة التى ادرجوا فيها من عند انفسهم ما كان فيه وعيد شديد للوضاعين » وذلك الفاضل الالمانى يزعم ان حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، وما فى معناه قد وضعها المحدثون ليصرفوا الوضاعين عن وضع الحديث ! ومع ذلك يقول ان هذه الرواية وما فى معناها تروى من زهاء ثمانين طريقا وبعض الروايات منها يوصل سندها الى عثمان بن عفان وغيره من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين (١) .

فهو لايحسب هذه الروايات مما يعول عليها فى الصحة و يوثق بها ــ ولكنه لم يبين لقوله هذا وجها وجيهــا ولا دليلا قويا ــ وعندى ان مثل هذا الرأى لايقوم عليه دليل ولا يزيد على قول فارغ ووهم محض ، يبعد عن شأن مثله ــ

وعلى كل ذلك يتأتى لنا ان نبت القول فى ان رأى الفاضل غولدزيهر فى وضع رواية مــن كذب على الخ من غير أن يقوم عليه دليل ، رأى كله استبداد ؛ وهو من مثله لغريب ؛ لان فتنة وضع الحديث قد اخذت تنمو فى عهد النبى عليــه السلام ، وقدمر قولنا فيه فى باب الوضع ؛ وايضا انه عليه الســلام قد عاقب الوضاع بعقاب شديد ؛ ولذلك اى عجب فى دعوانا و غرابة فى رأينا اذا رتأينا انه عليه السلام بنفسه قد نهى الناس عن اختلاق الكذب عليه وحذر الناس منه ؟ أليس ذلك مما يقارن القياس ؟ بل لو لم يصدر من مثل محمد الهادى عليــه الصلاة والسلام الذى قد رزق من الذكاء والفهم والتدبر حظا وافرا ، لكان ذلك من مثله بعيدا .

المحدثون الكرام واعتزالهم عن روابط الدولة

لابد لنهضة العلوم من يد الدولة؛ ولذلك لم تزل رهينة فى رقيها بمساعدتها فالعلوم العربية والفنون الفارسية وادبها قد نشأ بعناية الخلفاء العباسية وسلاطين الاسلام وبلغت مبلغها الرفيع ؛ كذلك نرى ان نهضة العلوم الاسلامية واللغة الاردوية فى ايامنا السعيدة هذه، فى وطننا الحبيب هذا ، لم يقم اكثرها على ساق الا بعناية عظمة النظام خلد الله ملكه،فان دائرة المعارف التى نحن حاضرون

---

(١) المطالعات الاسلامية ج ٢ ص ١٣٢ — ١٣٣

فى حفلتها الاولى، وجل مساعيها العلمية ثمرة قطرة من غمام هذا الكريم ونفيان يدى هذا الجواد ، ونعم انه لكبير واذا صدر من الكبير امر خطير فليس بغريب ــ ولكن تاريخ ادب الحديث، عندى ، لم يزل غنيا عن مساعدة الخلفاء وسلاطين الاسلام سواء كانوا بنى امية او العباسيين ــ فالمحدثون الكرام الذين بمقاومتهم الكوارث ومكابدتهم المشاق قد حرزنا كنوز هذا العلم الرزين وذخره الثمين ، فضلا عن ان يحظوا بمساعدة الخلفاء والملوك ، هم رحمهم الله قد اضحوا دريئة نوائبهم وغرض مصائبهم فساموهم باشد عذاب ــ واى عذاب تركوهم فى العقاب ، فان نال بعضهم منهم بعض العناية والعاطفة الكريمة ليظلاوهم بظل ملوكيتهم فهؤلاء المخلصون ، مخلصو الدين ، مجاثم الاباء ، تماثيل الصدق، رفضوا اظلهم السابغ وكرمهم البالغ ــ فان استظل بعضهم بظلهم والاهم بولائهم فما برحت فى سطوة الملوكية وابهتها حياتهم تنقضى بين الخوف والرجاء والنعم والبرحاء ــ ويدلك على ذلك ان المضادة بين ارباب الدول والمحدثين لم تزل منذ عهد الخلفاء الراشدين ــ فسيدنا عمر رضى الله عنه وارضاه ، قدعاتب اباهريرة رضى الله عنه ، وكان يسوغ له ذلك سدا لذريعة الكذب الى النبى عليه السلام، على كثرة روايته (١) وحبس ابن مسعود وابا الدرداء وابا مسعود الانصارى عليها (٢) وابو ذر الغفارى الزاهد الاواب ايضا اصبح هدف ذلك العقاب (٣) ثم مع تقلبات اهل الدول وار بابها اخذت علائق المحدثين تتقلب معها تقلبا سيئا حذو القذة بالقذة والسى بالسى ــ ولذلك اكابر المحدثين ولوا عن السياسة جانبا ــ ثم خالف سلطان زمانه بعضهم خلافا ظاهرا واستقام ببعضهم الاعتزال الى آخر الاحوال من حلول الآجال ــ فهؤلاء العبادلة الاربعة الذين هم اساس علم الحديث ودعامته ، منهم ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يخض غمارها ولم يتاوش بعارها وشنارها قط ؛ وحينما دعاه مروان ليكون

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١٨ (٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧
(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦

هو

هو ايضا من طلبة الخلافة رفض دعوته وابى ان يخضع لها كل الاباء (۱)
وكذلك عبدالله بن عباس رضى الله عنهما لم يشبه غبار الفتن الكائنة بين عبدالله بن الزبير وعبدالملك (۲) .

نعم قد خرج عبدالله بن عمرو بن العاص الى صفين لامر ابيه واصراره عليه ولكنه سوى خروجه اليها لم يزل طاهر الذيل فى القتال (۳) .

وعدا اولئك من الصحابة والتابعين الذين اكثرهم كانوا يعدون اساس علم الحديث ودعائمه لم يزالوا بمعزل عن الفتن السياسية فابوذر (٤) ومحمد بن مسلمة (٥) وسعيد بن المسيب (٦) وابو العالية (٧) والمطرف (٨) والحسن بن سيار (۹) ومسروق (۱۰) وامثالهم ظلوا على مراحل من الحروب التحزبية عهد نشأتها — فكم منهم من آثر السجن وتحمل الشدائد ورضى عن الجور بوجه باسم وانف شامخ ! ولكن لم يركن هؤلاء عشاق الصدق والحق ضد ايمانهم — فسعيد بن المسيب قد عذب بالسياط من قبل عبدالله بن الزبير وعمال بنى امية ولكن لم يدع (رضى الله عنه) رضى الجمهور من المسلمين فلم يبايع احدا قبل ان يبايعوا (۱۱) .

وفى عهد الامويين عدا العصر الذهبى المذهبى لعمر بن عبدالعزيز رحمه الله الائمة الكبار من المحدثين عامة ، نأوا عن السياسة جانبا وضادوهم كل المضادة فالحسن البصرى وامثاله قد قاسوا الشدائد من الملوك الاموية وعمالها ، ولكن مع ذلك ابوا كل الاباء أن يخضعوا لولاتهم — وكذلك عبيدالله بن ابى رافع (۱۲)

---

(۱) طبقات ابن سعد — ج ٤ — قسم — ۱ ص ۱۱۱ (۲) اسد الغابة — ج ۳ ص ۱۹۳
(۳) اسد الغابة — ج ۳ ص ۲۳٤ (٤) طبقات ابن سعد — ج ٤ قسم ۱ ص ۱٦۱
(٥) طبقات ابن سعد — ج ۳ قسم ۲ ص ۲۰ (٦) طبقات ابن سعد — ج ٥ ص ۹۰ (۷) طبقات ابن سعد — ج قسم ۱ ص ۸۲ (۸) طبقات ابن سعد ج ۷ قسم ۱ ص ۱۰۳ (۹) طبقات ابن سعد — ج ۷ قسم ۱ ص ۱۱۹ (۱۰) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ۲٥ (۱۱) طبقات ابن سعد — ج ٥ ص ۹۰ و۹٦ (۱۲) الكامل للمبرد ج ۱ ص ۲۸٤ .

وابن ابی کثیر (١) وغیرها قدخالفوهم جهارا فعوقبوا لمخالفتهم اياهم ـ ومناظرة احنف بن قيس مع معاوية رضی الله عنه ومناظرة الاعمش مع عبدالملك ومناظرة الحسن البصری مع عمر بن هبيرة التی نقلها ابن خلكان فی وفيات الاعيان (٢) تدل علی ان روابط المحدثين مع بنی امية وعمالها لم تزل مقطوعة مرهوبة .

ولما انقرض الامويون واستخلف العباسيون فهؤلاء الملوك ، حماة لواء الاسلام الاحداث لما استقربهم القرار وتمكنوا من الدولة كل التمكن تجانس صنيعهم بصنيع الامويين مع المحدثين ـ فالمنصور العباسی قد امر بقتل سفيان الثوری (٣) رضی الله عنه وعذب مالك بن انس بالسياط (٤) وامام السنة احمد بن حنبل رضی الله عنه قد تجرع غصص الآلام من مثل المامون الكريم الخبير بقدر ذوی الاقدار المبجل العلم والعلماء ، ما غادر سمة سوداء علی مر الايام لمثله من خلفاء الاسلام بل كل امام من الائمة الاربعة رضی الله عنهم لم يسلم من ظلم العباسيين ، وكذلك مؤلفو الصحاح الستة لم يصم احد منهم جبينه بولاية ای ملك وامير ، بل ذخر الحديث الاهم الذی لم يزل الی الآن معمول المحدثين ليس الاثمرة جهد المظلومين ، مظلومی الدول مقهوری الملوك المحدثين .

لا شك ان كثيرا من رواة الحديث وخدمه الذين تقدم ذكرهم آنفا ، قد خدموا الملوك والامراء وجالسوهم وتقربوا اليهم ولكن عدا البعض منهم لم يكن يعد عندائمة الحديث ولا اقرب الی الاعتبار ولاممن يعول عليه وفی هؤلاء القليلين كان ابن شهاب الزهری رحمه الله تعالی فهو قد صاحب خلفاء بنی امية الی زمان ؛ ورواياته فی كتب الحديث اكثر من ان تحصی ؛ وله فی رواة الحديث مكان مكين ، وقد تخرج عليه كثير من اجلاء المحدثين ، وله سهم كبير فی تدوين الحديث حتی لو قلنا انه عماد قصر التدوين لما كنا من المبالغين ولا من المطرين .

---

(١) تذكرة الحفاظ ـ ج ١ ص ١١٥ (٢) طبع اوربا رقم ١٥٥ و ٢٧٠ و ٣٠٤ (٣) تهذيب الاسماء ص ٢٨٧ (٤) وفيات الاعيان طبع اوربا رقم ٥٦٠ .

 اما

اما المستشرق الشهير الالمانى غولد زيهر يرى انه رحمه الله فى بنى امية كان يضع من الاحاديث ما يلائمهم، وهو الذى وضع رواية لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد الخ ليبجل فى اعين الناس بلاد بنى امية فى الشام (١) وان صح قوله هذا فلامحيد من ان يسقط عن الاعتبار عدد وافر من الاحاديث التى قد قبلها المحدثون ووثقوها، ولكن صدق الزهرى ومكانه كما سلم عند المحدثين قد عرفها كل من له علاقة بادب الحديث، ولنزد على ذلك ماباح به بعد التنقيب فى توثيقه واعتباره المحقق الالمانى الشهير هورووتس، وهذا الفاضل قد خضعت دونه فى النقد رقاب الخواص والعوام من الاوربيين، وله شغف باسماء الرجال ما ليس بقليل، وناهيك بعظمته انه ممن اعتنى اعتناء كاملا بتصحيح طبقات ابن سعد ونشرها ولنقدم ما قاله هذا الفاضل فى الزهرى رحمه الله «ان مثل الزهرى لا يخترع شيئا ولا يفترى كلمة لكرامة احد عنده، بل بينه وبين عبدالملك لم يزل اختلاف الآراء وربما استحر الكلام بينهما وانجر الى مجاوزة الحد» اما رايه فى رواية «لا تشد الرحال» الخ انها ليست من موضوعات الزهرى بل رواها رحمه الله تعالى بصحيح علمه وقوى يقينه (٢) — والاصل ان المحدثين قد اختلفوا فى مسئلة التعاون مع الجورة من السلاطين على ثلاث فرق ففرقة لم تعترف بجوازه مطلقا، واخرى تجوزه لكن فى الخير فقط، والثالثة لم تزل قائمة على ساقيها فى التعاون معهم خيرا كان اوشرا — وهذه الفرقة الثالثة تعرف عند العلماء الكرام بعلماء السوء وقد كثر عددهم حتى طفحت بذكرهم كتب الرجال — ومن شاء مراجعة ذلك فليراجع ميزان الاعتدال — فانه قد حوى ذكر اكثرها — ويتأتى لنا ان نلقب الثانية بالمقتصدين — ومن اولئك كان الشعبى، وقبيصة، والاوزاعى، ومالك بن انس، والشافعى، ورجاء بن حيوة، رضوان الله عليهم اجمعين — وهؤلاء كانوا يترددون الى الامراء ويصاحبونهم ويسعون فى ان يهدوهم الى الصراط المستقيم ويثبتوا المتثبتين

---

(١) المطالعات الاسلامية — ج ٢ ص ٣٥ و ٣٩، و ٤٠ (٢) اسلامك كلچر ج ٢ ص ٣٠، ٤٨ (٤) جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٨٥ — ١٨٦

حتى امام دار الهجرة مالك بن انس رضى الله عنه قد قيل له مرة انك تدخل على السلاطين وهم يظلمون ويجورون ! فاجابهم « يرحمك الله فاين الكلام بالحق »(١) وعندى ان الامام الزهرى رحمه الله ايضا كان منهم فمنهم من قد تملق باهداب خدمتهم صنيع الزهرى رضى الله عنه ، والبعض كامثال مالك بن انس والشافعى رحمهما الله وغيرهما قد انكرها — واما الفرقة الاولى فيسوغ لنا ان نعرفهم بالمتقشفين ، ومنهم سفيان الثورى ، وايوب السختيانى وابو قلابة وعبد الله بن المبارك ، ومعمر وسحنون وغيرهم — اما سحنون فكان يقول ان من ذهب الى القاضى ثلاث مرات من غير حاجة فلا تقبل شهادته .

٥ — مكان النساء فى درس الحديث وتدريسه

قد وقفنا من درس تاريخ العلوم والفنون ان الكريمات من النساء والنجيبات منهن لم يكن لهن فى درسه نصيب وان كان فلم يكن الا شذوذا والشاذ كالمعدوم ولكن الخائضات من النساء فى عباب الحديث فكانت لهن مع الرجال يد ظافرة وسعى غير قليل — ومن تصفح تاريخ علم الحديث رأى فى اول نظرة ان المئات من النساء لم تتشرف بدرس الحديث فقط بل كان منهن عدد وافر فى التدريس له باع طويل وصيت طائر لحذقه فيه وتضلعه منه والنساء المسلمات اللاتى يعرفن فى عصرنا بالصنف اللطيف كن مثل الرجال فيما خلا من القرون يتحملن مشاق السفر بوجه باسم وعزيمة راسخة فى طلب هذا العلم الثمين ؛ قد وجهن وجهتهن الى المراكز العلمية الشهيرة ، وحضرن حلق دروس الفطاحل بعد دها الكثير مصطفة بالصفوف كالرجال محتكة مناكبها بمناكب اولى الافضال ، ونلن شهادات الفضل من العلماء الذين كان يشار اليهم بالبنان ؛ وفى المدارس الشهيرة التى جمعت الرجال والنساء قد افدنهم ؛ بل الحذاق من المحدثين قد حضروا دروسهن وعدوا ذلك لهم فخرا .

فهذه الفاضلات النبيلات لايزال الزمان يردد صدى اعمالهن الفخيمة

(١) جامع بيان العلم ج — ٢ — ص ١٨٥ ، ١٨٦

وغزارة

وغزارة علمهن الكريم علنا فان خرست السن قالهن فقد نطقت السن حالهن سرا وجهرا بما اصغى اليها العالم طرا؛

تلك آثارنا تدل علينا　　　فانظروا بعدنا الى الآثار

اى سفر من اسفار الحديث عرى من تذكارهن ـ واى مكتبة لم تتزين جباهها بسيرتهن .

رب حى كميت ليس فيه　　　امل يرتجى لنفع وضر
وعظام تحت التراب وفوق الا　　　رض منها آثار حمد وشكر

فلقد ترى فهارس النسخ الخطية القديمة فى كثير من المكاتب متضلعة بسيرتهن ، وكتب الرجال بشهادة فضلهن فى التدريس طافحة ، اسماؤهن فى المدرسين زينة الاسفار ، كما ان اعمالهن فخر لامة المختار ،(صلى الله عليه وسلم وعلى آله الاطهار الى يوم القرار) حتى ان كل من له ادنى علاقة بالحديث وان لم يرزق سعى التنقيب يرى فى اسانيد كتب الحديث انهن حللن فيها حلول العقد من الجيد ، بل قل انهن اصبحن فيها بيت القصيد ـ ومن اراد الاطلاع على ذلك فليراجع ما نشرته دائرة المعارف بحيدرآباد دكن (الهند) وغيرها من كتب الاسانيد والرجال يجد فيها تذاكر كثير من النساء من حيث المعلمات ـ فهذه امهات المؤمنين باسرهن ، بعد انقضاء عهد النبوة ، ثم التابعيات اصبحت سهامهن فى رواية الحديث ، وسعيهن فى بقائه اشهر من ان يذكر ـ فان المؤلفات الحديثية بانواعها المختلفة تجد فيها الوفا من المرويات ترويها مئات من النساء واجدرهن بالذكر واخصهن بالتنويه ام المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنها وارضاها فانها قدعدت فى المكثرين ، ولهافيهم مكان مكين ؛ وكما لها حظ وافر فى الرواية كذلك لها سهم كبير فى الدراية ـ وقد لوح الى ذلك العلامة السيد سليمان الندوى فى تأليفه الانيق، سيرة عائشة ، الحاوى مالها من التخصص فى الدراية مع الرواية ـ وأخر من الراويات ترى سيرهن فى الجزء الثامن من طبقات ابن سعد .

وبعد أن ألفت الكتب المهمة من الحديث فى غضون المائة الثالثة والرابعة ترى كثيرا من المحدثات قد تضلعن بهذه الكتب وحذقن فيها وكانت لهن يد فى تدريسها ايضا، وقد ذكر الخطيب البغدادى بعضهن فى تاليفه تاريخ بغداد، فمنهن فاطمة بنت عبد الرحمن المتوفاة سنة اثنتى عشرة بعد ثلثمائة، وهى لحياتها الزاهدية ولباسها عرفت بالصوفية، وفاطمة بنت ابن ابى داود، وامة الواحد بنت المحاملى المتوفاة سنة سبع وسبعين بعد ثلثمائة، وجمعة بنت احمد، قد افدن بدرس الحديث واشتهرن من حيث الحديث (١).

وفى غضون المائة الخامسة والسادسة وجدت من النساء فاضلات محدثات قد اعترف بفضلهن المهرة الحذاق من المحدثين، وقد ذكر بعضهن مؤلف شذرات الذهب فى كتابه، فمنهن فاطمة المتوفاة سنة ثمانين بعد اربعمائة وهى كانت بنت حسن بن على الدقاق الصوفى الشهير، وقرينة اشهر الصوفيين ابى القاسم القشيرى رحمه الله تعالى، وكانت من اشهر المحدثات والمحدثين فى المائة الخامسة من الهجرة وقد امتازت فى مبادئ تعليمها بحسن الخط ثم حظيت بسهم وافر فى العلوم الاسلامية، ثم حثحثت راحلة طلبها الى المراكز العلمية الشهيرة، وتعلقت باهداب الفطاحل من المحدثين، وبرزت نسيجة وحدها فى الحديث وكانت تعد من اشهر المحدثات والمحدثين وفاقت فى عصرها بعلو الاسناد. (٢)

وكانت كريمة بنت احمد رحمها الله تعالى تعد ركنا ركينا للحديث (٣)، وتخصر دروسها العلماء الكبار كالفاضل المؤرخ الشهير ابو المحاسن المصرى (٤) والفاضل المحدث الفقيه المعروف بالخطيب البغدادى (٥) والمحدث الشهير

---

(١) تاريخ بغداد ج ٤، ص ٤٣٣ – ٤٤٤ (٢) شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٨ وفيات الاعيان طبع اوربا رقم ٤١٣ (٣) ابن الاثير ج ١٠ ص ٢٨ (٤) المطالعات الاسلامية ج ٢ ص ٤٠٥ حاشية – ١ (٥) معجم الادباء ج ١ ص ٢٤٧ .

ابو عبدالله

ابو عبد الله محمد بن نصر المعروف بالحميدى الازدى (١) كلهم كانوا من جناة ثمارها العلمية، وقد اعترف العلماء بفضلها وسبقها فى تدريس الجامع الصحيح للبخارى حتى ان محدث هراة اباذر رحمه الله تعالى قد وصى الطلبة ان لا يأخذوا الجامع الصحيح الا عنها (٢).

والحق ان النساء كان لهن حظ وافر وسهم كبير فى تاريخ التدريس للجامع الصحيح كما اشار اليه الفاضل المستشرق غولد زيهر اما الشهيرات من معلمات الجامع الصحيح فمنهن فاطمة بنت محمد المتوفاة سنة تسع وثلاثين بعد خمسمائة؛ وشهدة بنت احمد المتوفاة سنة اربع واربعين بعد خمسمائة، وست الوزراء بنت عمر المتوفاة سنة ست عشر بعد سبعمائة (٣) وهن من اولئك الذين يجدربان ينوه بهم - اما فاطمة فكانت اخذت الحديث عن المحدث الشهير سعيد بن العيار وكان المحدثون يذكرونها بمسندة اصبهان - اما شهدة فكان لها فى الخط باع طويل، وفى الحديث كانت سندا، واصحاب السير يذكرونها بخطاطة، سند الحديث، فخر النساء - وجدها كان يعمل الابر ولذلك عرف بالابرى - وابوها قد رزق شغفا بالحديث فأخذه عن اربابه فى عصره (٤) وراعى فى تعليمها اتقان الاساس والغزارة، وكان زوجها رجلا كريما محبا للعلوم على بن محمد وكان من الاعيان واختص بالامام المقتفى لامر الله؛ ولعله رعاية لقرينته بنى مدرسة لاصحاب الشافعى على شاطىء دجلة والى جانبها رباطا للصوفية ووقف عليهما وقفا خطيرا - وخلاصة القول ان شهدة رحمها الله تعالى قد رزقت صيتا طائرا فى الحديث وامتازت بعلو سندها خصوصا (٥) وكان يحضر حلقة درسها عدد وافر من الطلاب، واصيتها الطائر وشهرتها ادعى بعضهم التلمذ منها اختلاقا وافتراء (٦) وايضا ست الوزراء كانت معروفة بالمسندة ودرست الجامع

(١) فهرست مكتبة بانكى فور ج ٥ ص ٩٨ - ٩٩ (٢) المطالعات الاسلامية ج ٢ ص ٤٠٥ (٣) شذرات الذهب ج ٤ ص ١٢٣، و ٢٢٨ و ج ٦ ص ٤٠ (٤) الكامل لابن الاثير ج ١٠ ص ٣٤٦ (٥) وفيات الاعيان طبع اوربا رقم ٢٩٥ (٦) نفح الطيب ج ٢ ص ٩٦.

الصحيح بمصر ودمشق(١) منهن ام الخير أمة الخالق المتوفاة سنة احدى عشرة بعدتسع مائة وهى تعرف بخاتمة محدثات الحجاز(٢) وكذلك عائشة بنت عبدالهادى درست الجامع الصحيح (٣)

وبعد مطالعة كتب الرجال وحواشي المخطوطات فى علم الحديث واجازات المحدثين والاسانيد يبت القول فى ان النساء لم يدرسن الجامع الصحيح فقط على اسلوب يجدر به الثناء ويقدر قدره ؛ بل عدا الجامع الصحيح قد درسن الكتب الاخرى من الجوامع والسنن والمسانيد وقد بلغ حظهن فى ذلك مبلغا عظيما فام الخير فاطمة بنت علي المتوفاة سنة اثنتين وثلاثين بعد خمسمائة ، وفاطمة الشهرزورية قد درستا الصحيح لمسلم بن الحجاج (٤) وفاطمة الجوزدانية المتوفاة سنة اربع وعشرين بعد خمسمائة قد درست المعاجم الثلاثة للطبرانى(٥) وزينب الحرانية المتوفاة سنة ثمان وثمانين بعد ستمائة كان يحضر درسها عدد خطير من الطلبة (٦) وهى رحمها الله تعالى قد القت الخطب على المسند الضخم لامام السنة احمد بن حنبل رحمه الله تعالى (٧) وجويرية بنت عمر والمتوفاة سنة ثلاث وثمانين بعد سبعمائة ، وزينب بنت احمد بن عمر المتوفاة سنة اثنتين وعشرين بعد سبعمائة قد كابدتا متاعب السفر الطويل فى طلب الحديث وألقتا الخطب فى المدينة المنورة وفى مصر ، واقرأتا سنن الدارمى ومسند عبد بن حميد ؛ وكانت الطلبة لاستشفاء غليل ظلمها تقصدها من بلاد شاسعة وشقة بعيدة (٨) وزينب بنت احمد الكمال المتوفاة سنة اربعين وسبعمائة تداخلت مئات من الشهادات ، ودرست مسند ابى حنيفة رحمه الله تعالى ، والشمائل للترمذى ، وشرح معانى الآثار للطحاوى

---

(١) شذرات الذهب ج ٦ ص ٤٠ (٢) شذرات الذهب ج ٨ ص ١٤ (٣) كتاب الامداد ص ٣٦ (٤) شذرات الذهب ج ٤ص .. — اتحاف الاكابر ص ٦٤ (٥) كتاب الامم لايقاظ الهمم ص ٣١ (٦) شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٠٤ (٧) كتاب الامداد ص ٥١ (٨) كتاب الامم ص ٢٨ — ٢٩ — شذرات الذهب ج ٦ ص ٥٦ .

وهذه زينب ايضا قد اخذت معانى الآثار عن محدثة تعرف بعجيبة بنت ابى بكر (١) وهذه عجيبة قد قرأ عليها وعلى غيرها من المحدثات بعض كتب الحديث الرحال الاسلامى الشهير ابن بطوطة حين كان بدمشق (٢) ومحدث دمشق ووحيدها فى فن السيرة، ابن عساكر الذى كان اخذ الحديث عن مائتين والف محدث وعن ثمانين محدثة، وقد الف رحمه الله رسالة فى سيرهن (٣)، وايضا قد نال شهادة الموطأ للامام مالك رضى الله عنه عن زينب بنت عبد الرحمن المحدثة — والعلامة السيوطى رحمه الله تعالى قد قرأ الرسالة للامام الشافعى رحمه الله على هاجر بنت محمد المحدثة (٤).

وبعد المائة السادسة من الهجرة قد اهتاج سيلان جارفان ففى جهة الحروب الصليبية قد زعزعت بنيان دول الاسلام، وفى اخرى التتر قد قوضت خيامه وجعلت الارض — ارض الاسلام — عاليها سافلها، ان كانت عساكر النصارى العطاش ترتوى من دماء المسلمين فى جهة الغرب وتزعزع بنيان شرفها وسيادتها، ففى جهة الشرق كان هولاكو داهية دهياء يسفك الدماء ويدوخ البلاد ويفسد فى العباد — وفى المائة السابعة قد بلغ الجور مبلغا عظيما وسيل الطغيان بامواجه المتلاطمة وتياره المهيب المدهش قد عم بسيطة الاسلام واخذ ينصب من ههنا وههنا حتى طفحت به بلاد الاسلام وشرقت بدماء ابنائها الكرام، وقصر التمدن الاسلامى الشامخ تراه كأنه خر من مكان سحيق لا بواكى له ولا رفيق — ولكن فى تلك الايام ايام الغارات ايام انتهاك الحرمات، هذه مجاهدات العلوم بعوا طفهن الحماسية كن يجاهدن فى بقاء العلوم جهاد الابطال فى حومات القتال؛ لم تدككهن اثمهن الحروب ولم تروعهن الكوارث والكروب؛ وترى هنالك بجهادهن ينابيع العلوم تنبع بنميرها

(١) شذرات الذهب ج ٤ ص ١٢٦ — كتاب الاعداد ص ١٤ و ١٨ — قطف الثمر ص ٧٣ — المطالعات الاسلامية ج ٢ ص ٤٠٧ (٢) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٥٣ (٣) معجم الادباء ج ٥ ص ٤٠ — ٤١ (٤) كتاب الامم ص ١٧

العذب كمرآة الغريبة صفاء وجلاء — اين الرجال ايها الرجال ! النساء ذوات الخمر ربات السوار والحجال فى تلك الايام ، ايام الفتن السود ، ايام الشقاء والجمود ، سعيهن البليغ وجدهن الشديد بعواطف الشجاعة الكاملة لم يزل جديدا ! فكم من نساء قد سفرن فى ايام هذه الفتن بكمالهن بدورا ؛ وتركن دوى فضلهن يدوى لهن دهورا — فهل من رجل وان كان عليما حق عليم فضلا عن مآثرهن يذكر اسماءهن؟ كلا ! قد خرست الالسن وعميت القلوب وعمت البلاوى ؛ فلا مشتكى الا الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله — نعم على رغم الفناء حفظتها بطون الاسفار — فيالنا من الاسف والعار ؛ فمن محدثات هذا العصر الحرية بالذكر زينب بنت الشعرى (٥٢٤ — ٦١٥) وكريمة (م سنة ٦٤١) وصفية بنات عبد الوهاب ، وزينب بنت المكى المتوفاة سنة ثمان وثمانين بعد ستمائة — اما زينب بنت الشعرى فكفى لها فضلا ان ينتمى الى شرف تلمذها امثال ابن خلكان (١) الفاضل الشهير ؛ وكريمة قد عرفت بمسندة الشام ، وزينب قد امتازت بحضور حلقة دروسها افواج من الطلاب (٢) وقد ترقى عدد المحدثات فى غضون القرن الثامن والتاسع رقيا بينا كما يدل على ذلك ما سرده الحافظ الحجة الامام ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى من سير سبعين ومائة من المحدثات فى تأليفه الدرر الكامنة فى احوال رجال المائة الثامنة — وغيرهن من الفاضلات الكثيرات قد ذكرهن هذا الامام فى تأليفه الآخر إنباء الغمر — وفيهن كثير ممن قد حضر دروسهن وتشرف بالاستفادة منهن مثل هذا الامام — ومن المحدثات اللاتى كن فى القرن التاسع قد ذكرهن تلميذه العلامة الامام السخاوى فى تأليفه الضوء اللامع — وفى هذا العصر الزاهر العلامة ابن فهد قد تشرف بالاخذ عن ثلاثين ومائة محدثة قد ذكرهن فى تأليفه البديع معجم الشيوخ ونسخته الخطية محفوظة فى مكتبة بانكى فور — الهند(٣)

---

(١) وفيات الاعيان طبع اوربا رقم ٥٠ ؛ (٢) شذرات الذهب ج ٥ ص ٢١٢ و ٤٠٤ (٣) فهرست مكتبة بانكى فور ج ١٢ ص ٦٣ .

ومن

ومن محدثات القرن الثامن والتاسع اكثرهن قد عددن فى كبار المحدثين فمنهن

ام هانئ مريم بنت فخر الدين محمد المتوفاة سنة احدى وسبعين وثمانمائة قد حفظت القرآن فى صباها ـ وبعد أن اتقنت العلوم المتداولة ارتحلت الى مكة المكرمة ومصر وهناك اخذت الحديث عن حذاق المحدثين وبعد تكميل العلوم اخذت تقرئ الحديث وتلقى الشهادة منها المحدثون وكانت رحمها الله تعالى بارعة فى الخط مالكة اعنة النظم والنثر قداذ عن لحذقها فى الحديث المحدثون وناهيك بفضل من كان مثل العلامة ابن فهد لها تلميذا وكانت رحمها الله تعالى تقية صالحة صوامة وحجت ثلاث عشرة حجة .

وكذلك باى خاتون بنت ابى الحسن المتوفاة سنة اربع وستين وثمانمائة قد اخذت الحديث عن ابى بكر المزى الاكبر والاصغر وتلقت الشهادات من المحدثين والمحدثات واقرأت الحديث فى مصر والشام ـ وغيرهما كثيرات قد ذكرهن العلامة ابن فهد فى تأليفه معجم الشيوخ (١) .

والذى يسنح لى بمعرفتى ان النساء اخذ ميلهن الى الحديث وشغفهن به يتقهقر بعد القرن التاسع ـ ويدل على ذلك ان العيدروس فى النور السافر، والمحبى فى خلاصة الاثر ، ومحمد بن عبد الله النجدى فى السحب الوابلة ، لم يذكروا فى كتبهم من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر اى فى ثلاثة قرون الابضع نسوة قد برزن فى الحديث ولم تعد فيهن اكثر من ثلاث فى طبقة الكبار من المحدثين .

ولكنه لا ينتج مما قلنا آنفا ان شغف النساء بالحديث كان تلاشى فى تلك القرون مطلقا لان اسماء بنت كمال الدين موسى المتوفاة فى سنة اربع بعد تسعمائة كانت رحمها الله تعالى تدرس العلوم الاسلامية عامة والحديث خاصة ـ وكان لها فى عمال الدولة وولاتها نفوذتام ومكان مكين حتى كانت تشفع فى الامور اذا شفعت بجلالتها وعظمتها عندهم ـ (٢) وكذلك عائشة بنت محمد بن احمد ، قرينة مصلح الدين ، المتوفاة سنة ست بعد تسعمائة قد درست كثيرا من

---

(١) نسخة بانكى فور ص ٥٨ و ٦٦ (٢) النور السافر نسخة المكتبة الامبراطورية بكلكته ص ٢٨

الطلاب منهم ابن طولون امير مصر ثم فوض اليها التدريس بدمشق فى المدرسة الصالحية (١) وكذلك فاطمة المتوفاة سنة خمس وعشرين بعد تسعمائة كانت تعد افضل الفضلاء فى عصرها (٢)

وخاتمة المحدثات التى وقفت عليها فى السحب الوابلة لمحمد بن عبد الله النجدى – هى رحمها الله تعالى قد ولدت فى منتصف القرن الثانى عشر وكان لها فى حسن الخط فضل لاينكر – قد تضلعت بالعلوم الاسلامية ونسخت بيدها كتبا كثيرة وجمعت مكتبة شائقة – وكانت فى الحديث ذات باع طويل ونظر غائر ومادة غزيرة ، ظفرت بشهادات الحديث من الاعلام فى تلك الايام ومن حيث انها محدثة كان لها صيت طائر ؛ وفى آخر عمرها هاجرت الى مكة المكرمة زادها الله شرفا وتعظيما وجعلتها لها سكنى ؛ وهنالك اشتغلت بتأسيس مكتبة عمومية – وقد حضر درسها هنالك المحدثون الكبار ونالوا منها الشهادات فممن يجدر منهم بالذكر الشيخ عمر الحنفى والشيخ محمد صالح – ثم بعد ايام وقفت مكتبتها لله الكريم المتعال – ثم خرجت الى مدينة الرسول ابى البتول وتوفيت سنة سبع واربعين بعد المائتين والف رحمها الله تعالى رحمة الابرار واسكنها جنات تجرى من تحتها الانهار (٣)

وقد حوت المخطوطات العربية وحواشيها وكتب اسانيد الحديث ايضا اسماء من تعلمت الحديث وعلمت من النساء فمن تلك الاسفار ، المشيخة مع التخريج ، وكتاب الكفاية ، اللذان نسختاها محفوظتان فى مكتبة بانكى فور (الهند) ولتجدن فى حواشيها واسانيدها مئات من النساء قد احتككن مناكبها بمناكب الرجال فى المدارس فى درس كتب الحديث وبعضها قد حظيت بسهم وافر فى تدريسه ايضا (٤)

---

(١) تاج الطبقات نسخة بانكى فور ج ٩ ص ٢٥ (٢) تاج الطبقات ج ١٠ ص ١٤٥ (٣) السحب الوابلة النسخة الخطية بمكتبة بانكى فور ص ٣٣٥ – ٣٣٧
(٤) فهرست مكتبة بانكى فور ج ٥ قسم ؛ ص ٥١ ، ٥٢ و ٥٤ وغيرها .

الاسناد

٥ ـ الاسناد فى علم الحديث ، وتكميله

مكان الاسناد فى ادب الحديث مكان الاساس من البناء او الروح من الجسد فكما انه لا قيام للبناء اذا لم يكن له اساس ، ولا قوام للجسد اذا عرى عن الروح كذلك ادب الحديث ليس بادب اذا عرى عن الاسناد وذخره الذى ادخرته القرون الاربعة الاولية من الحديث ترى فى كل حديث منه سلسلة رواة تصحبه وهذا الذى يحوى سلسلة الرواة هو الذى يعبر عنه بالاسناد واما الحديث نفسه سواء كان قول الرسول اوفعله صلى الله عليه وسلم ، فيعرف بمتن الحديث .

فاذن الحديث عبارة عن جزئين . اولها الاسناد ، وثانيهما المتن ـ وهذان الجزآن يعرفان عند المحدثين باصلى ادب الحديث الذى تدور عليهما رحاه .

وعندهم اذا عراه تغير ما من سنده فى اى محل كان اوفى متنه من اى نوع كان يتحول الحديث من صورة الى صورة وينتقل من حال الى حال بالنسبة الى نوعية تغيره ومن شاء الاطلاع عليه فليراجع اى كتاب شاء من اصول الحديث ، وبيان سلسلة الرواة بهذا النمط يعد لادب الحديث مقاما عاليا يهتم به لخصوصيته الخاصة ، فاذا عبرنا عن هذه الخصوصية الخاصة بالامتياز الداخلى لم نستعمل لها ما لا يناسب لها لان هذه الخصوصية متداخلة فى ادب الحديث نفسه ، والخصائص التى قدمناها سابقا حرية بان نعبر عنها بالخصائص الخارجية لانها نشأت لاحوال خارجية ، فهى خارجة عن ادب الحديث نفسه .

اختراع اسلوب الاسناد

اما الاسناد فعند جميع العلماء هو مما يختص بالحديث ويمتاز به ، والعلماء المستشرقون ايضا يرون ذلك كما يتضح من قول فضيلة الاستاذ المستشرق مارغوليته « للسلمين ان يفتخروا بعلم الحديث » (١) ولا شك فى ان المسلمين كما التزموا الاسناد واهتموا به لايكاد يرى له نظير فى غيره من الآداب .

الاسناد فى عين فضيلة الاستاذين هوروفتس والكائتانى

---

(١) عرب هستورينس ص ٢٠

فضيلة الاستاذ الايطالى اى الكائتانى قد عرض سؤ الابديا فى أمر الاسناد وذاك ان اسلوب الاسناد هل ابدعته العرب ام ابدعه قوم ماقبلهم ، ثم تلقاه العرب ممن قبلهم دأبهم فى تلقى العلوم الأخر من قوم آخرين ، ولكن هذا الفاضل لم يشف عليل هذه المسئلة ، ولم يقض فيها بما تشتفى به النفس و يثلج به الصدر وقد بر هن على ادعائه هذا بقوله الغريب الانيق وذاك « ان العرب سكان الصحارى والفلوات ، سكان الغابات والقفار ، بل منهم اشبه بالوحش ، مغلوبو الغيظ ، الجهلة المتعصبون الذين لم يمسهم من غضارة التمدن مس ادنى ، يستحيل من شمائلهم ان يكونوا اباعذرة الاسانيد ومخترعى هذا الاسلوب الانيق » (١) فانظر ايها الناظر المتثبت الحصيف أليس هـذا فارغا عن الدليل ؛ أليس اسلوب هـذا القول من امارات ذلك التمدن الذى ثلب عليهـا العرب واكل لحمهم ومع هذا فقوله هذا كله قد بنى على الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا بل كان يتحتم على فضيلته ان يثبت ان العرب ليس لهم نصيب فى اختراعه بل لغيرهم — ولكن العجب انه نفى عن العرب اختراع الاسـانيد ولم ينسبه الى غيرهم — وان هذا من مثله لبعيد مع انه فى بحبوحة تحقيقه فريد وفى التمتع من غضارة التمدن وحيد .

وقد سد خلل ما اخل فيه الفاضل الكائتانى الاستاذ المحقق هورووتس فانه قد كسا ظن الكائتانى العارى عن التحقيق ، حلل التحقيق الحقيق وقد اثبت بعد ايراد امثلة غير قليلة ان اليهود هم الذين استعملوا الاسناد قبل العرب بزمان بعيد — وقد اثبت ان اليهود كانوا استعملوا الاسناد فى العهد الموسوى ، وفى العهد التالى قد توجد اسـانيد طويلة ، (٢) .

قد حل هذه العقدة قبل الكائتانى وهورووتس

سند الأئمة الامام ابن حزم رحمه الله تعالى

وانى لست من اولئك الذين ينكرون قياس الكائتانى المحض ولا انضاءل

---

(١) تاريخ الاسلام ج ا ص ٣٠ (٢) دار اسلام ج ٥ ص ٢٩ و٧٥ .

من

من الثناء على افاضل هور وونس لتحقيقه المدلل – ولكن لا اكاد اتاخر عن العجب فى ان المسئلة التى عسرت على المستشرق الايطالى الشهير، وكذلك ثمرة التحقيق الذى جناها المحقق الالمانى الشهير بعد تنقيب تفصدت به ثنايا جبينه، فى القرن المتمم للعشرين، قد قضى وطره من حل تلك العقدة مع التفصيل الذى اتى به المستشرق الالمانى فى تحقيقه، محدث اندلسى قبل تحقيقه بنحو الف سنة – وهذا المحدث الاندلسى هو ابو محمد بن على بن حزم المعروف بالامام ابن حزم – وهو فى العلماء الاسلاميين واسطة العقد وفى محققيهم امام النقد – وعدا تحقيقه الانيق هذا، تصانيفه قد بلغت فى ضخامتها منتهاها – وقصارى القول ان تصانيفه من حيث الفوائد طافحة ومن حيث الضخامة فى المصنفين الاسلاميين عدا تصانيف الامام ابن جرير الطبرى قد سبقت سبق الجواد فى الرهان (١) ومن تصانيفه الشهيرة تصنيف يعرف بكتاب الفصل – فى الملل والنحل – وفى هذا الكتاب تداتى المصنف على روايات احكام الاسلام بقول فصل بسيط؛ وبين فيه اقسامها؛ وعرف فيها ان اى قسم من اقسامها قد استعمل قبل العرب فى ادب النصارى واليهود – وهذا نص ما اورده الامام فى كتاب الفصل فى الملل فيما يتعلق بروايات الاحكام (٢).

« ان نقل المسلمين لكل ماذكرنا ينقسم اقساما ستة – اولها شيء ينقله اهل المشرق والمغرب عن امثالهم جيلا جيلا لا يختلف مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للشاهدة ....

والثانى شيء نقلته الكافة عن مثلها حتى يبلغ الامر كذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ....

والثالث ما نقله الثقة عن الثقة حتى يبلغ الى النبى صلى الله عليه وسلم، يخبر كل واحد منهم باسم الذى اخبره ونسبه؛ وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان .... وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر اهل

---

(١) معجم الادباء ج ٥ص ٨٨ (٢) الفصل فى الملل والنحل طبع مصر ج ٢ ص ٦٧ – ٧٠ .

الملل كلها و ابقاه عندهم غضا جديدا على قديم الدهور من اربعمائة عام و خمسين عاما . . . . .

والرابع شيء نقله اهل المشرق والمغرب اوالكافة اوالواحد الثقة عن امثالهم الى ان يبلغ من ليس بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم الا واحد فاكثر، فسكت ذلك المبلوغ اليه عمن اخبره بتلك الشريعة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرف من هو . . . . ومن هـذا النوع كثير من نقل اليهود بل هو اعلى ما عندهم لانهم لايقربون فيه من موسى كقربنا فيه من محمد صلى الله عليه وسلم بل يقفون ولابدحيث بينهم وبين موسى عليه السلام ازيد من ثلاثين عصرا فى ازيد من الف وخمسمائة عام ـ وانما يبلغون بالنقل الى هلال وشمانى وشمعون ومرعقيبا وامثالهم ـ واظن ان لهم مسئلة واحدة فقط يروونها عن حبر من احبارهم عن نبى من متاخرى انبيائهم اخذها عنه مشافهة فى نكاح الرجل ابنته اذا مات عنها اخوه ـ واما النصارى فليس عندهم من صفة هـذا النقل الا تحريم الطلاق وحده .

والخامس شيء نقل كما ذكرنا، اما بنقل اهل المشرق والمغرب اوكافةعن كافة او ثقة عن ثقة حتى يبلغ الى النبى صلى الله عليه وسلم، الا ان فى الطريق رجلا مجروحا بكذب او غفلة او مجهول الحال . . . . وهذه صفة نقل اليهود والنصارى فيما اضافوه الى انبيائهم.

والسادس نقل باحد الوجوه التى قدمنا اما بنقل من بين المشرق والمغرب اوبالكافة ، او بالثقة عن الثقة،حتى يبلغ ذلك الى صاحب او تابع ، او امام دونهما انه قال كذا اوحكم بكذا غير مضاف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الصنف من النقل هوصفة جميع نقل اليهود لشرائعهم التى هم عليها الآن مما ليس فى التوراة وهو صفة جميع نقل النصارى حاشا تحريم الطلاق، الا ان اليهود لا يمكنهم ان يبلغوا فى ذلك الى صاحب نبى اصلا ولا الى تابع له واعلى من يقف عنده النصارى الشمعون ثم بولس» .

لاشك

لاشك فى ان توضيح ابن حزم عار عن القطعية والتفصيل والاختصاص الذى اتى به هورووتس فى هذه المسئلة لكنه لاشك فى ان الفاضل المحدث الاندلسى قد اتى بما اورده الاستاذ الالمانى هورووتس من الوقائع العمومية والنتائج المهمة التى استنتج منها اعنى ان اليهود كانوا استعملوا الاسناد فى ادبهم ، واما قوله اى هورووتس انهم استعملوه فى العهد الموسوى فيقضى عليه انه مورد شك ومحل ارتياب قوى لانه (اى هورووتس) لم يورد دليلا ما على ان الاسانيد التى نسبت الى العهد الموسوى لم تلحق فى زمن بعده كما اشار اليه الامام ابن حزم رحمه الله تعالى ؛ ولان فى العهد الابتدائى لليهود لا توجد ذخيرة ما لاسماء الرجال وذلك قد اعترف به هورووتس ايضا ولذلك لامحيد للانسان من الشك فى الجهالة عن احوال رواتهم كما قال الامام ابن حزم رحمه الله .

الاسناد فى ادب اهل الهند

لاشك فى ان اليهود والنصارى ايضا قد استعملوا الاسناد قبل العرب ولكن هل استعملها سواهم قوم ما ام لا ؟ قد يعسر القول فى ان اليونانيين والروميين هل استعملوا الاسناد ام لا - لكن الهندوك قد استعملوه فى ادبهم مع ان هذا البحث لم تمسسه يد التنقيب وارجو انى اول رجل كشف عنه القناع كما اخبرنى به صديقى الدكتور فروبود سندرباغجى - فطبق قوله يوجد من ادب الهند فى الهندوك والبوذيين والجينيين استعمال الاسناد فى محال شتى ويدل على ذلك ما يوجد فى القطعة الاولى من مها بارتا « ان ويس قد صنفه وكتبه غنيش وويسا مفيان رواه وبين يدى الملك جنم جى تلاه - وهناك سوتى كان حاضرا ، فسمعه ورواه بين يدى العلماء (١) وكذلك يوجد الاسناد فى فرانا ايضا -(٢) وشروح ويدا ايضا لم تخل من سلاسل الاسناد وان كانت

(١) الترجمة الانجليزية لمها بهارتا عن پى- سى- رأى ج ١ رقم ١ - ارجع ايضا الى تاريخ ادب الهند لونترنتس ج -١ص ٣٢٣- ٣٢٤(٢) ارجع الى شنكهيان ارنكا نقل كيتهه ص ٧١ - ٧٢ .

قصيرة جدا ــ نعم لم يوجد فى ادب بوذا شيء من ذكر الرواة سوى ان فى رواية كل متن يقول الراوى انى سمعت كذا (ولكن عمن سمع فليس لذلك فيه تصريح) نعم قد توجد سلسلة الرواة فى زمن بعده ، لاسيما فى الادب الذى قد الف فى اللغة السنسكريتية ولكن الآن لم يوجد له اثر ولا عين سوى ترجمته باللغه التبتية ودونكم ما ذكرت فى خاتمة سدنغ يوغ من سلسلة الرواة ــ بوذا ــ بجردهرا ــ نغرجون ــ ناغستودهى ــ اريديو ــ كندا كرتى سكيركستا ــ راترامترا ــ دهرم بهدرا ــ غونا متى ــ منجو سرجنا نا ــ اموغهشرى ــ ويرامتى ــ وجايوكرتى ــ ورفرجنا ــ دهرما بهدرا ــ شريبهدرا دهرما قالا ــ شكيا دهرجا ــ واكشوا راكرتى ــ رتنا كرتى ــ ونا راترا ــ دهرما بدهى .

وآخر من فى هذه الرواة هو رجل من سكان شرقى الهند ، وهو الذى تولى ترجمة ــ سدنغ يوغ ــ الى اللغة التبتية بأمر عالم كان يعرف ــ برون ــ باعانة منجوسرى رانا ونسخته الى الآن محفوظة فى مكتبة فرنسا (١) .

ابتداء استعمال الاسناد فى الحديث

اما عندنا ، معشر المسلمين ، فمسئلة ابتداء الاسناد واستعماله فى الاسلام اهم من امر اختراعه وابتدائه ــ فعند فضيلة الاستاذ الكائتانى ان اول من استعمل الاسناد هو الزهرى المتوفى سنة اربع وعشرين بعد المائة ــ وتلامذته كموسى بن عقبة ، وابن اسحاق وغيرهم ، هم الذين بلغوه درجة الرقى فعلى رأى الكائتانى استعمال الاسناد فى الحديث لم يكن الا بعد سنة خمس وعشرين ومائة من الهجرة ؛ وترقى بعد سنة خمسين ومائة (٢) . وعند هورووتس ابتداؤه كان قبل الثلث الثالث فى المائة الاولى من الهجرة ــ اما فضيلة الاستاذ هورووتس بعد ابرادبعض الدلائل القوية على دعواه يقول « ان الاسناد فى سنة خمس وسبعين كان يستعمل عموما استعمالا ابتدائيا وليس لاحد أن

(١) فهرست كوردير كتب تبت ج ٣ ص ١٦٣ و ٦٨ ــ ١٦٩ وغيرها (٢) تاريخ اسلام ج ١ ص ٣١ .

 ينكر

ينكر على عروة استعمال الاسناد لاجل ان لا يوجد فى تحاريره الاسناد الاشاذا (اما عند الكائتانى فان عروة لم يستعمل الاسناد قط) ليس لاحد ان يضرب الصفح عن الاحاديث التى يرويها عروة باسانيدها الكاملة (كما فعله الكائتانى) والحق ان فى عصر عروة كان استعمال الاسناد شائعا وان لم يبلغ مبلغا يعد للحديث جزءا ضروريا (١) وعندى هذه المسئلة اى مسئلة ابتداء استعمال الاسناد كما هى مهمة كذلك هى عسرة جدا ولكن ليس للشك مجال فى ان راى هوروووتس يقارب رأى المحدثين ودعواهم فيه — ويدل على ذلك قول ابن سيرين وغيره من الائمة ، ان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين لم يكونوا يكترثون بالاسناد فى عصرهم الاول ، ولكن من عصر الفتن اخذوا يشددون فى ذلك — والمراد بالفتنة هها فتنة على كرم الله وجهه عند البعض ؛ وعند الآخرين فتنة عثمان رضى الله عنه — وقد قيل فى الامام على رضى الله عنه انه امر طلبة الحديث ان لا ينسخوا الحديث الاباسناده(٢)وابو هند عبد الرحمن الصحابى كان يسدد عصاه الى تلامذته مروعا اذا ضربوا الصفح عن الاسناد فى نقل الحديث (٣) فمن هذه الامثال وشدة احتياط الصحابة فى أمر الحديث يستنتج من غير شك ومرية ان الاسناد أخذ يستعمل من المائة الاولى قبل وسطها وفى اواخرها صار للحديث جزءا لا ينفك .

تكميل الاسناد بين المسلمين

نعم الاسناد قد استعمله علماء الاسلام ، ولكن مهدوا له اصولا محكمة ملئت حكمة واستوعبت ضبطا ، وبلغوها ذروة الكمال ، ولاجله ادخروا ذخر اسماء الرجال—وهى التى تدور عليها رحى عظمة الحديث وقدره وقيمته وجعلوا لصحته اقساما ؛ ولكل قسم جعلوا مراتب لقبوله اورده — نعم قد كان فى الهندوك واليهود اسلوب الاسناد ولكن لم تكن عندهم له اصول يعتمدونها

(١) اسلامك كلچر ج ١ ص ٥٠٠ — ٥٠١ (٢) شرح المواهب للزرقانى — ج ٥ ص ٤٧٤ (٣) اسد الغابة تذكرة ابى هند عبد الرحمن .

ويسلكونها ولم يخترعوا انقدها مايصار اليها ويعتمد عليها رواية اودراية ؛ بل لم يخطر ببال الهندوك ان يصنعوا بالاسناد صنيعا ليستفاد به ويعملوا له عملا يقدر به قدره — امافن اسماء الرجال الذى هو روح الاسناد فلايرى له فى ادبهم القديم عين ولا اثر بل قل ان ادبهم لم يزل محروما من اصول التاريخ — وكذلك اليهود ، ادبهم القديم عار عن اسماء الرجال وعن استعمال اصول التاريخ فيه ؛ بل ليس له فى ادبهم حظ ولانصيب ما. ولذلك ترى الاسناد الذى يوجد فى ادبهم القديم جسما عاريا عن الروح ، حتى ان مثل هوروفتس قد اضطر الى ان يكتب ان فى الادب التلمودى ليس لاصول التاريخ اسم ولا رسم — وزد على ذلك ان اقدم كتب اليهود فى اسماء الرجال هو الف بعد سنة خمس وثمانين وثمانمائة اى بعد مائة سنة من تأليف اول كتاب للمسلمين فى هذا الموضوع ؛ وان اهم كتب اليهود فى هذا العصر قد الفت فى الممالك الاسلامية — فهاتان الحقيقتان تقضيان على ان غلو اليهود بالتاريخ كان رهين اثر المسلمين (١) .

الاسانيد المختلفة ومطالعته الاضافية

اما علماء الاسلام فلم يمهدوا للاسناد اصولا حكمية فقط بل امعنوا فى مطالعة الاسانيد المختلفة وجعلوا لها مراتب وانزلوها منازلها كما حكى ان احمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى قد جمعهم مجلس فتذاكروا اجود الاسانيد فقال قائل منهم ان اجود الاسانيد « شعبة عن قتادة عن سعيد عن عامر اخى ام سلمة عن ام سلمة رضى الله تعالى عنهم — وقال على بن المدينى ان اوثق الاسانيد ابن عون عن محمد عن عبيدة عن على — وقال احمد بن حنبل اوثق الاسانيد الزهرى عن سالم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم » اما البخارى رضى الله عنه فاوثق الاسانيد عنده مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم اما المتأخرون فقد اضافوا اليه احمد بن حنبل عن الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر وعند المحدثين يعرف هذا الاسناد بسلسلة الذهب ونظير هذا فى ادب الحديث قد عز وجوده كما قال السيوطى ان فى مسند احمد بن حنبل رضى الله عنه

(١) دار اسلام — ج — ٧ ص ٧ ٤٧ .

مع

مع ضخامته لم يوجد بهذا الاسناد اى احمد عن الشافعى عن مالك الخ غير اربع روايات (١) وقد سعى بعض المحدثين فى تعيين اضعف الروايات ايضا فعند بعضهم اضعف الاسانيد محمد بن مروان عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس (١) .

استعمال الاسناد فى كتب الحديث

اما بدء استعمال الاسناد فى ادب الحديث فكان حديثا حديثا ، والى المائة الرابعة لم يزل على هذا المنوال ــ ولكن فى نهاية المائة الاولى حينما حوتها بطون الاسفار وانشعبت من هذا الادب علوم شتى اخذوا يستعملون الاسناد فى الكتب ايضا دأبهم فى الاحاديث المفردة ــ ومحافظة على الاحتياط خوفا من التحريف فى الحديث وتصحيفه جعل معلمو الحديث وفنونه المختلفة ديدنهم فى شهادات تلامذتهم ان يذكروا المعلمين المحدثين الذين رووا عنهم الكتب الحديثية، واخذوها عنهم كلها اوبعضها، مع بيان مقدار ما رووا ، ان كلافكلا اوجزءا فجزءا ــ وكان من شروط الشهادة ايضا ان يقرأ على التلامذة الشهادة بجميع ماذكرناه آنفا ــ وكان من واجباتهم فى ذلك ايضا ان يبلغوا سندهم من معلميهم الى مصنف الكتاب ــ والى يومنا هذا ، هذا الدأب مستمر فى المدارس القديمة ، ان الشهادة التى ينالها التلميذ لم يذكروا فيها ان التلميذ قد قرأ على شيخه كتابا اوكتبا فقط ، بل يلزم عليهم ان يذكروا المعلمين الذين رووا عنهم الكتاب الى ان يبلغوا اسنده الى المصنف .

عصرنا هذا غنى عن هذا التكليف

اسلوب تعليم الحديث الذى قد مناه كان جديرا بالعصر الذى كان يعز فيه وجود الكتب ، ولم تزد على بعض النسخ الخطية ؛ ولذلك لم تزل معرضة للتحريف والتصحيف حتى كان غير عسير على المحرف والمصحف ان يفعل بها ما يشاء ــ ولكن فى هذا العصر الزاهر الذى كثرت فيه المطابع ونشرت الكتب نشرا لم يوجد له فيما خلا من القرون مثال فاى عائد يعود علينا بتتبعنا

---

(١) تدريب الراوى ص ــ ٢١ .

صنيع علمائنا الاقدمين فى ان نذكر من قرأنا عليه او نبلغ سندنا الى مصنفى الامهات الست وغيرها بل اذا اعرضنا عنه وراعينا صحة الطبع والتزمنا فى نشر الكتاب ان لاينشر فى الطلبة الا اذا وقع عليها من العلماء من كان سندا فى الحديث مسلما له الفضل فيه مصدقا بتوقيعه انه عانى بنفسه مقابلتها بنسخة معتبرة صحيحة لكان اعود وانفع .

ولكن من سوء حظنا ان علماء عصرنا الحاضر لايستحسنون ان يرغبوا عن طريق الاقدمين ؛ ويرون اتباع سنة الاقدمين فى شهادة الحديث (سند الحديث) ضربا لازما — نعم اذا اريد بذلك علو الاسناد فلم اخالفه ولن اخالفه لان ذلك من المزايا التى لا تنكر — والحق ان اصول تعليم الحديث بل تعليم كافة العلوم الدينية لم يبق منه الا رسمه وتلاشى روحه — واولئك الذين يرون اتباع سنن الاقدمين واجبا فى سند الحديث لايعرفون من فنون الحديث الا اسماءها — عظمت حيرتى حينما قال لى شيخ قدافنى عمره فى تدريس الحديث، ان اقدم كتب الرجال تاريخ البخارى رحمة الله عليه — ليت شعرى لو قال طبقات ابن سعد .

اسناد النسخ الخطية

اسلوب الاسناد قد تجاوز الاحاديث المتفرقة الى جوامعها من كتبها ثم بلغ الى نسخها الخطية ايضا ؛ فان المحدثين الزموا على طلبتها فى نسخها ان يذكروا فى ما ينسخون من كتب الحديث، سلسلة شيوخهم حتى يبلغوا بها الى جامع الكتاب مع كناهم ونسبهم قبل الافتتاح اوبعده اوفى الصفحة الاولى من الكتاب اوفى محل واضح منه وليكتب صاحب النسخة زمن قراءة الكتاب ومحل قراءته واسماء رفقائه الذين شاركوه فى درسه (١) والذى ذكرناه من اصول النسخ يجد كل من شاء فى الصفحة الاولى اوفى الحواشى اوفى خاتمة الكتاب من النسخ الخطية لكتب الحديث وما يتعلق به من الفنون ، مصرحا مفصلا

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص: ٨ – ٨٢ تدريب الراوى ص١٥٨، فتح المغيث ص٢٦٥

كالنسخة الخطية لسنن ابى داود الكائنة بمكتبة برلن(١) ومسند ابى داود الطيالسى والسنن للدارمى ، والمشيخة مع التخريج للبخارى ، وكتاب الكفاية للخطيب البغدادى، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢) وقد رأيت بعينى هاتين هذه النسخ مع صفاتها التى وصفتها بمكتبة بانكى فور (الهند) ولمثلها امثال لمن اراد الاطلاع عليها وقد توجد نسخ خطية عارية عن هذه الاوصاف ولكنها لا تخلو من وجهين الاول انها ناقصة اما من اولها او آخرها ولذلك قد ضاعت منها تلك الاوصاف التى ذكرناها والثانى نسختها كتاب لم يكن لهم من علوم الحديث نصيب ؛ ولم ينسخوا الا للعوام ،فبعيد أن يكون فيها للطلبة والمحدثين حظ ما ولذلك لم يراعوا فى نسخها ما كان يتحتم عليهم من اقتفاء الاصول فى نسخ كتب الحديث .

تاريخ تحرير هذه الاوصاف مفصلا

فى الظن الغالب ان تحرير هذه التفاصيل قد اخذت فى المائة الثانية ؛ ومخطوطات ذلك العهد الاغر قد تلاشت وان لم يكن فلا قل ان عينى لم تحظ بشرف رؤيتها ـ ولكن هناك فى كتب اصول الحديث امور وتفاصيل يتأتى لمن رءاها ان يقول ما قلته ويدعى ما ادعيته ـ وذلك ان حفص بن غياث (م سنة ١٩٤ هـ) الكائن فى المائة الثانية قد قضى فى مرافعة مستدلا بهذه التفاصيل وقد وقع فضيل بن عياض المتوفى سنة سبع وثمانين بعد المائة ان لا يجوز لمحدث ان يأخذ سماع رجل فيحبسه عنه ، ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه ـ ويقال أن ابن شهاب الزهرى رضى الله عنه ايضا كان يرى ذلك (٣) والذى اعلم بلامرية ان هذه التفاصيل التى ملكها فن الحديث لا ينازعه فى هذه المزايا الكاملة والتفاصيل العامة ادب اى لغة ـ قد رأيت الفهارس العديدة المفصلة لكتب اللغة اليونانية واللاطينية والسريانية والعبرانية ولكن لم اظفر بجهدى البليغ على تلك التفاصيل

---

(١) فهرست الكتب العربية ببرلين لآلورت ج ٢ رقم ٢٤٦ .

(٢) فهرست مكتبة بانكى فور ج ٥ جزء ١ رقم ٢٤١ و ٢٥٤ و ٤٦٢

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ٨٢

التی قد حواها ادب الحدیث ــ نعم فی تراجم کتب السنسکرتیة الی اللغة التبتیة قد وجدت فهارس طوالا لعلمها فی نسخها التی قد مرذکرها آنفا؛ ولکنها عاریة عن مزایا التفاصیل التی امتازبها ادب الحدیث وذکرتها آنفا ــ فهذه التفاصیل للنسخ الخطیة من حیث الفحص عن صحتها وسقمها اثمن الاشیاء واغلاها ــ ولفقد ان هذه الحواشی فی النسخ الخطیة الیونانیة تحتاج الی الشواهد الخارجیة فی التنقیب عن صحتها وسقمها ــ وتلک الشواهد الخارجیة لا تفید الیقین ولا معشارما تفید هذه الشواهد الداخلیة ولذلک یعسر علی القائل فی ای نسخة خطیة من الیونانیة ان یقول بیقینه التام انها نقل صحیح لاصلها ــ ولکن النسخ الخطیة الحدیثیة لمزایاها الخاصة یسوغ للقائل القول فی صحة نقلها المعتبر من غیر شبهة وریبة .

استعمال الاسناد فی العلوم الأخری من الادب العربی

قد بدأ الاسناد من الحدیث وکتبه ولکنه شاع فی غیره من العلوم العربیة شیئا فشیئا ولذلک تری فی کتب الجغرافیا والتاریخ والادب اللطیف وغیرها اسانید طوالا ــ فقد اعترف الفاضل المستشرق مارغولیتھ فی تحریره هذا ــ ان فی ادب العرب بعض الکتب لم تحتو الا المطالب السوقیة ولکن مع ذلک مؤلفوها قد اثبتوا به اسماء رواتها مع بیان الزمان والمحل الذی رووها ویدل علی ذلک مصارع العشاق لمؤلفه السراج الذی حوی قصص النساء والرجال الذین قضوا نحبهم فی العشق ــ فالمؤلف لم یراع فیه الصحة فقط بل لم یدع محلا ولا تاریخا سمع فیه هذه الحکایات ، مع ذکر اسماء رواته مفصلا(١) والحق ان العلوم العربیة وفنونها فی استعمال الاسناد قد تفردت فی العالم .

وکذلک المحقق هیتی امریکی قد صرح فی ضمن استعمال الاسناد فی الکتب التاریخیة ان اسلوب العرب فی تألیف التاریخ اسلوب لیس له نظیر وانه یقضی اهم ما یحتاج الیه هذا الزمان فی تالیف التاریخ وبه یستعین الانسان فی بلوغه

---

(١) عرب استوریننس ص ٢٠

اصول

اصول الوقائع ويقف به على اثر الرواة وسلسلتها (١)
ايها الفطاحل قد قدمت بين يديكم بعض مميزات الحديث ولكني اعتقد أن العلماء الحاضرين فى هذه الحفلة لسعة مطالعتهم وحذقهم فى هذا الفن يقدرون على ان يفيدوا العالم العلمى باهم مما قدمته وارجو أن تلك الفوائد والمميزات لعظم قدرها تكون يدا اوساعدا فى ميدان التحقيق .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العلمين

وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا

محمد وآله وصحبه اجمعين آمين

---

(١) اوريجن اسلامك اسٹيٹ ص ٣

(٧)

تصحیح خطأ الطبع

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	١٥	لخصلتها	لخصلته
٢	١٥	عبرت عنها	عبرت عنه
٣	٢	و کان یوافق	و کان ذلک یوافق
٤	١٩	فصرفتها	و حرفتها
٤	٢٠	اخربتها	افسدتها
٥	٣	و قد اصبحت	قد اصبحت
٨	٧	و ما عائق یعوق و لا مانع یمنع عن	و ای عائق یعوق و ای مانع یمنع من
٩	٦	و کان حفظة	و کان حفظها
٩	الحاشیة (١٠)	ج ١١ - ص ٢٧	ج ١١ - ص ٦٧ ؛ مسند احمد بن حنبل ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٨ -
١٢	٣	بیت المقدس	دمشق
١٢	٨	لا یتیسر	لا یتعسر
١٣	١٦	حتی حلق الحدید	حتی خشب سقفه
١٣	الحاشیة (٧)		و تهذیب الاسماء ص١١٧
١٤	٣	و کذلک الذهبی	و کذلک الذهلی
١٤	٥	قد بذل......دینار	قد بذل جمیع ماله
١٤	٧ - ٨	اتعظوا بسوقهم و عبروا بشوقهم	اتعظوا بسیرتهم و اعتبروا بشوقهم
١٤	٢٠	و الفیان	و نفیان

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥	٦ - ٧	ثلاثون الف طالب	اكثر من ثلاثين الف طالب
١٥	٩	ابو مسلم	ابو سالم
١٦	٢٠	ان نشأته	ان عهد نشأته
١٧	٩	فبعث القبيلة	فبعثت القبيلة
١٧	الحاشية (١)	ص ٢ - ٣ - ٨٣ - ٨٤	ج ٢ ص ٢ - ٣ ؛ ٨٣ - ٨٤ -
١٨	١٩	كان رسخ	كان ارسخ
١٩	٢	الطالقانى	الطانسكانى
١٩	٣	محمد بن حسين	محمد بن الحسين
١٩	الحاشية (٢)	رقم ١١٣٦	١١٣٤
٢٠	٣	و تنشأ العواطف	و تنشىء العواطف
٢٠	الحاشية (١)	كتاب القضاة	كتاب الولاة و القضاة
٢١	٨	الراضين	راضين
٢١	١٤	ارنبة انفه	نحو ارنبة انفه
٢٣	٦	باحسن	باخس
٢٣	١٤	و الاخرين	و الاخرين الذين
٢٣	الحاشية (٢)	ص ١٢	ص ١٠٢
٢٤	٢	بلتبليغه	لتبليغه
٢٥	الحاشية (٤)	ص ٢٩	ص ٣٩
٢٥	الحاشية (٦)		و تهذيب الاسماء ص ٦٢٦
٢٧	١٦	بجهدا	بجهدها

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٧	٢١	و ثبت	و تثبت
٢٨	١٦	لا توجد	لا تكاد
٢٨	٢٠	و قدمتة	كما قدمتة
٣٠	٢	و نعم	نعم
٣١	٨ - ٩	و الحسن بن سيار	و الحسن بن يسار
٣١	الحاشية (١٠)		و تهذيب التهذيب ص ١١١
٣٣	٦	قد عرفتها	كذلك قد عرفها
٣٣	٢٢	اجمعين	اجمعين (٣)
٣٣	الحاشية	(٤) جامع بيان العلم ج ٢	(٣) جامع بيان العلم ج ١
٣٤	٢١	اقد نهم	اقد نهما
٣٤	الحاشية	ج ٢	ج ١
٣٦	٥	امة الوحيد	امة الواحد
٣٦	٧	من حيث الحديث	من حيث المحدثات
٣٦	١١	بنت حسن	بنت ابى على الحسن
٣٦	١٣	لحسن الخط	بحسن الخط
٣٦	١٩	ابو المحاسن	ابى المحاسن
٣٦	الحاشية (٢)	ج ٥ ص ٤٨ -	ج ٣ ص ٣٦٥
٣٧	١	ابو عبد الله	ابى عبد الله
٣٧	٩	سنة ست عشر	سنة ست عشرة
٣٧	١٠	سعيد بن العيبار	سعيد بن العيار
٣٧	الحاشية (٣)	و ٢٢٨	و ٢٤٨

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
۳۸	۱	سنة احدى عشرة بعد تسع مائة	سنة اثنتين بعد تسع مائة
۳۸	۱۳	جويرية بنت عمر	جويرية بنت احمد
۳۸	الحاشية (۴)	ج ۴ - ص ۰۰	ج ۴ - ص ۱۰۰ -
۳۸	الحاشية (۸)	ج ۶ ص ۵۶	ج ۶ ص ۵۶ و ۲۸۰
۳۹	الحاشية (۱)	ج ۴ -	ج ۶ -
۴۴	۴	عليل	غليل
۴۷	۱۲ و ۱۴	استعلموا	استعملوا
۴۸	۱	سوا ان	سوا انه
۴۸	۶	جردهرا	و جرا دهرا
۴۸	۸	ورفرجنا - دهرما بهدرا	و رفرجنا دهر ما بهدرا
۵۱	۴	عباس (۱)	عباس (۲)
۵۱	۱۹	التكليف	التكلف
۵۱	۲۳	نشرث	نشرت
۵۱	الحاشية (۱)	ص ۲۱	ص ۲۰ - ۲۱
۵۱	الحاشية		(۲) ايضا ص ۶۰
۵۲	۸	لا زما	لا زبا
۵۴	۱۲	قد بدأ	قد بدئ
۵۴	۱۹	رواته	رواتها
۵۴	۲۱	هيتي امريكي	هتّى الامريكي
۵۵	الحاشية (۱)	اوريجن اسلامك استيت	اوريجن اوف اسلامك استيت